

البابا شنوده الثالث

يستجيب لك الرب



البابا شنوده الثالث

يستجيب لك الرب

تأملات في مزمور ١٩ (٢٠)

أول مزامير الساعة الثالثة

CONTEMPLATION ON PSALM 20

(The Lord hear thee)

BY H.H. POPE SHENOUDA III

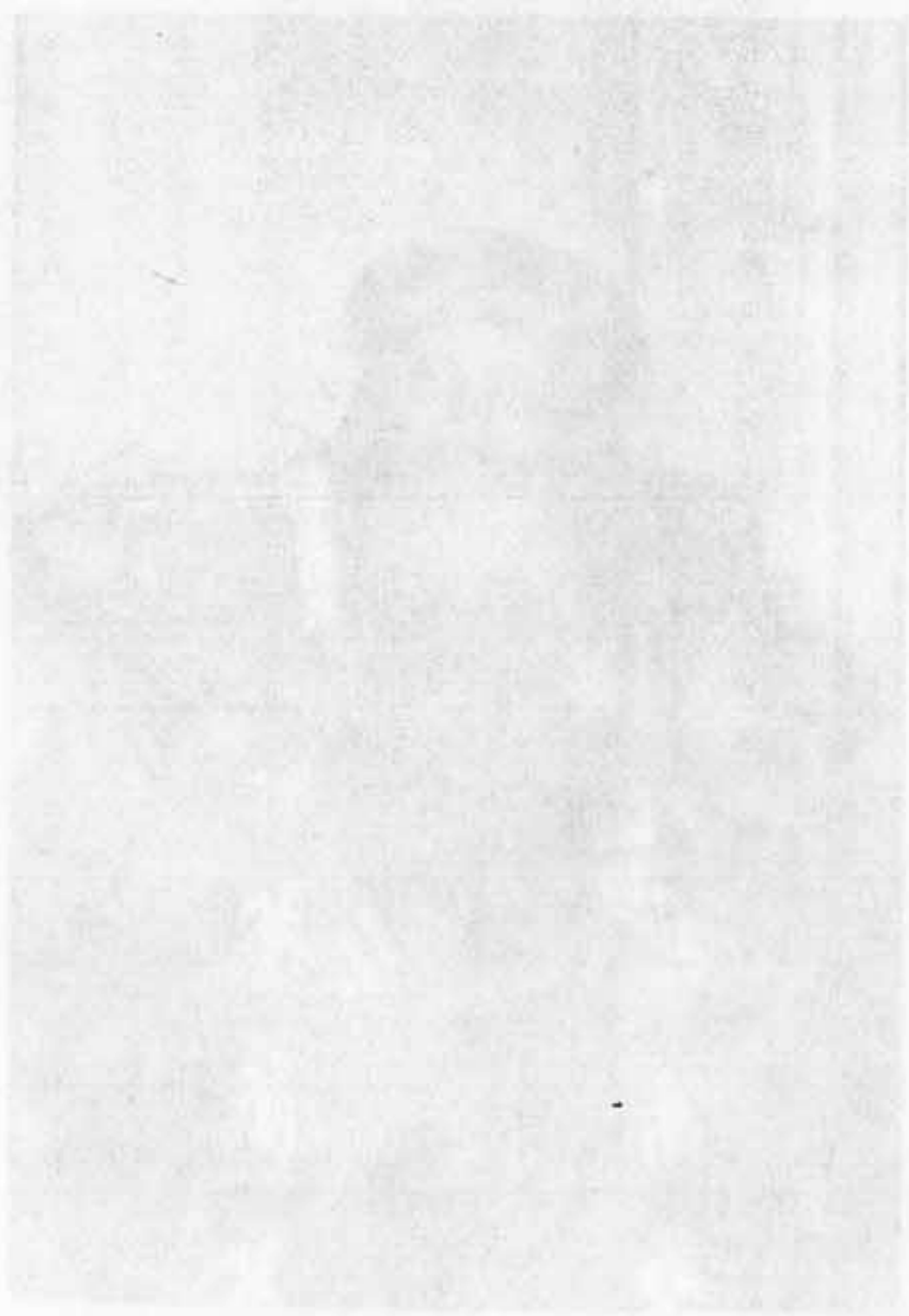
1 st. print
Sept. 1981

الطبعة الأولى

سبتمبر ١٩٨١



قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وسائر اقاليم الكنيسة المرقسية
(١١٧ ج)



مكتبة المتحف القبطي
بمصر
١٩٧٤

تصدير

كنت مسافراً إلى لندن في أواخر يناير سنة ١٩٦٩ لحل مشكلة خاصة بأحد الخدام ، حينما كنت أسقفاً للتعليم .

وسافر هذا المزمور معي ...

كان مصدر تأملات لي في الطائرة ، وفي إنجلترا ، وفي القاهرة ، وفي ألمانيا أثناء مروري عليها في عودتي .

ثم ألقيت هذه التأملات في الكاتدرائية الكبرى ، على ثلاث دفعات ، إلى جوار المحاضرة الروحية الأساسية .

وكان ذلك في أيام الجمع ٢٦ فبراير ١٩٦٩ ، ٥ مارس ١٩٦٩ ، ١٢ مارس ١٩٦٩ . ثم ألقيت بعد ذلك تأملات في المزمور ٢٢ (٢٣) « الرب يرعاني » ثاني مزامير الساعة الثالثة .

وأخيراً سمح الله لهذه التأملات أن تنشر .

أضعها أمامك ، لتكون معك في صلواتك الخاصة ، وأنت تصلي مزامير الساعة الثالثة .

شنوده الثالث

المزمور التاسع عشر (مزمور ٢٠)

يستجيب لك الرب

يستجيب لك الرب في يوم شدتك

ينصرك اسم إله يعقوب

يرسل لك عوناً من قدسه ، ومن صهيون يعضدك

يذكر جميع ذبائحك ، ويستسمن محرقاتك

يعطيك الرب حسب قلبك ، ويتمم كل مشورتك

نعترف لك يارب بخلاصك ، وباسم إلهنا ننمو

يكمل الرب كل سؤالك

الآن علمت أن الرب قد خلص مسيحه

واستجاب له من سماء قدسه ، بجبروت خلاص يمينه

هؤلاء بمركبات ، وهؤلاء بخيل ، ونحن باسم الرب إلهنا ننمو

هم عثروا وسقطوا ، ونحن قنا واستقمنا

يارب خلص ملكك ، واستجب لنا يوم ندعوك

هليلويا

مزمور [يستجيب لك الرب في يوم شدتك] ، هو من المزامير
المعزية التي تملأ القلب رجاء ، وتشعره أن الله معك .

كل هؤلاء يرتلون لك

تصور أن هناك ملاكاً من السماء ، يخاطبك ويقول لك :
يستجيب لك الرب في يوم شدتك . استمع إلى هذه العبارة من فم
ملاكك الحارس ...

تخيل أن داود النبي ، وهو في فردوس النعيم ، يبعث إليك رسالة
خاصة ، يقول لك فيها : لا تخف ولا تضطرب في كل ضيقائك ،
يستجيب لك الرب في يوم شدتك .

تصور أن هذه العبارة المعزية ، آتية إليك من الله ، على فم أي
إنسان مرسل من السماء . أو هي عبارة صادرة إليك من أرواح
القديسين .

تخيل أن الكتاب المقدس نفسه يقول لك : يستجيب لك الرب
في يوم شدتك ... في وسط متاعبك ، في وسط اضطرابات الحياة من
حولك ، الله ينظر إليك ، ويرى ، ويستجيب ...

اعتبر أن هذا المزمور هو رسالة سلام من الكنيسة إليك ، رسالة
عزاء من الكنيسة إليك ، رسالة تطمئنك وتفرح قلبك .

تخيل أن أحد الآباء الكهنة يصلى على رأسك ، ويقول لك هذه
البركة « يستجيب لك الرب في يوم شدتك » .

أشعر أنها وعد من الله موجه إليك في وقت الصلاة ، كعبارة عزاء
ورجاء وتشجيع . وعد صادق أمين من وعود الله ، يقول لك فيه
الوحي الإلهي « يستجيب لك الرب في يوم شدتك ، ينصرك إسم إله
يعقوب » .

أو على الأقل يمكنك أن تعزى نفسك ، وتخطب نفسك ، وتقول
لقلبك الذى ينتظر معونة « يستجيب لك الرب » ... تماماً مثلما كان
داود النبي يخاطب نفسه ويقول لها : لماذا أنت حزينة يا نفسى ؟
ولماذا تثنين فى داخلى ؟ إتكل على الله ...

قل هذا المزمور بكل إيمان . وشجع به نفسك فى وقت الضيق ،
حتى لا تياس ولا تتضايق ولا تتعب . شاعراً أنه كما أن عبارات هذا
المزمور قد تحققت فى الماضى ، هى أيضاً تتحقق اليوم وفى كل حين ،
ومع كل مؤمن فى ضيقه ...

هذا المزمور يمكن أن تصليه أيضاً من أجل أحبائك ...

تصليته من أجل غيرك من الناس ... تعرف أن إنساناً ما في شدة ،
فتقف أمام الله ، كما لو كنت توجه هذا الكلام إلى نفس ذلك
الإنسان ، وتقول له « يستجيب لك الرب في يوم شدتك » ... إنها
عبارة دعاء منك إلى كل نفس متعبة ، تطلب لها من الرب معونة .

يستجيب الرب لصلاتك ، لصومك ، لنذكرك ، لتذكلك ...

كما استجاب لصلوات وأصوام وتذلل أهل نينوى ، وكما
استجاب لصلوات وأصوام وتذلل أستير وشعبها ... والأمثلة كثيرة .

دموعك أمام الله محجوزة ومخزونة في زق عنده ، لا ترجع فارغة ،
بل يستجيب لها الرب ، كما استجاب لدموع القديسة مونيكا أم
أوغسطينوس ، وكما استجاب لدموع حنه ولنذرهما ، ومنحها ابناً هو
صموئيل .

إذن اطمئن ، إن الله لا يتغير . فكما عامل هؤلاء ، سيعاملك أنت
أيضاً . آمن برحمته وحنانه وحبه ، وسترى منه عجباً .

إن كان الله يستجيب في كل حين ، فبالحرى في وقت
الشدة ، حينما يكون الإنسان محتاجاً ولا عون له . لذلك فإن
الكنيسة تصلى لأجل جميع الذين هم في شدة .

تصلى من أجل الذين فى المطابق وفى السجون ، والذين فى السبى
أو فى النفى ، والمقبوض عليهم فى عبودية مرة ... وتصلى من أجل كل
نفس متضايقة ، ومن أجل المرضى والمسافرين ...

تصلى من أجل صغيرى القلوب ، ومن أجل الذين فى العاصف ،
لكى يكون الرب عزاء لهؤلاء ، وميناء لأولئك .

وتصلى من أجل العاجزين والمنقطعين ، والذين ليس لهم أحد
يذكرهم . تقول للرب « ياعون من لا عون له ، ويارجاء من ليس له
رجاء » . وتقول لكل إنسان متضايق ، عبارة المزمور « يستجيب لك
الرب فى يوم شدتك » ...

إنه مزمور من داود . ومزمور أيضاً من أجل داود .

يقول بعض المفسرين : إنه نشيد كان يقال للملك ، وهو
ذاهب إلى الحرب .

يرتل له الكهنة هذا المزمور ، ويرتل له الشعب ، كمباركة من
الجميع للملك ، أو كدعاء له أن يكون الرب معه ، ويستجيب له
وينصره ...

وأنت أيضاً ملك ، ولك حروب ...

أنت تملك هذا الفكر ، وهذا القلب ، وهذه النفس ، وهذه
المشاعر ، وهذا الوقت ، وهذه الحياة . ولك فيها حروب ولك فيها
شدة ...

جميل أن نرى الشعب يصلى لأجل الملك . والكنيسة تفعل
هكذا باستمرار ، فتصلى من أجل الرؤساء . وبولس الرسول يدعو
للصلاة من أجل كل من هو فى منصب (١ قى ٢ : ٢) ، فيقول له
« يستجيب لك الرب فى يوم شدتك » ...

فى يوم شدتك

عندما نقول فى صلواتنا « يستجيب لك الرب فى يوم شدتك » ،
نشعر حتماً أنه توجد شدة أو شدائد .

أى أن حياة المؤمنين والقديسين ، ليست سهلة على الدوام ،
أو كلها فرح ويسر وهدوء ! كلا ، على العكس ، فيها تجارب
ومتاعب ...

وكما يقول الكتاب « كل الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى فى

المسيح يسوع ، يضطهدون » (٢ تي ٣ : ١٢) . والرب قد دعانا أن ندخل من الباب الضيق ، ونسير في الطريق الكرب ، وقال لنا « في العالم سيكون لكم ضيق » (يوحنا ١٦ : ٣٣) .

ولكن في وسط هذا الضيق ، توجد كلمة معزية ، وهي : يستجيب لك الرب في يوم شدتك ، ينصرك إسم إله يعقوب ...

قد يقول إنسان : وهل يلبق بي - كإنسان روحي - أن أطلب الله في يوم الشدة والضيق . ألا يعني هذا ، أنه لولا الشدة والضيق ما كنت قد طلبت الله ؟!

والمفروض في العلاقة بيني وبين الله ، أن تكون علاقة حب ، وليست علاقة طلب في وقت الشدة !

والإجابة إن هذا مستوى عالٍ ، لا نفترض أن الجميع قد وصلوا إليه ، بينما الديانة لجميع مستويات الناس ، وليست فقط للصفوة النادرة الممتازة . ومع ذلك ، فإن وقع الإنسان الروحي في شدة ، فمن يطلب ؟ أليس من الله ؟!

وعلاقة الحب لا تمنع الطلب . فالإبن يطلب من أبيه الذي يحبه .

والرب نفسه قال « اطلبوا ثجدوا » . ومن جهة الضيق قال أيضاً
« ادعنى فى وقت الضيق ، أنقذك فتمجدنى » [مز ٥٠ (٤٩) :
١٥] .

وكل القديسين طلبوا الرب فى ضيقاتهم ، فاستجاب لهم الرب .
وليس عيباً على الشخص الروحى أن يطلب . بل إن السيد
المسيح عاتب تلاميذه القديسين على عدم طلبهم ، فقال لهم « إلى الآن
لم تطلبوا شيئاً باسمى . اطلبوا تأخذوا ، لكى يكون فرحكم كاملاً »
(يوحنا ١٦ : ٢٤) .

الله يستجيب لنا وقت الشدة . ولكن ما موقف الله من حلول
الشدائد على أولاده ؟

إن الله لا يمنع الشدة عن أولاده ، ولا يمنع التجربة
والضيقة . ولكنه يعطى انتصاراً على الشدائد ، ويعطى احتمالاً
وحلاً ...

الله لا يحبى أولاده ، بأن يبعد عنهم التجارب والضيقات . بل هو
يسمح بها ، ويعطى معها عزاءً وصبراً ومعونَةً . وفى عمق الشدة ،
يربت ملاك على كتف المؤمن ، ويقول له : لا تخف يا حبيبى . هذه

الشدة سوف لا تنتصر عليك ، وإنما « يستجيب لك الرب في يوم شدتك » ...

الله سيسمع صلاتك ، ينصت إلى خفقات قلبك . إنه يعرف متاعبك أكثر منك ، وسيستجيب لك .

ولا ننسى أيضاً أن التجارب والضيقات لها فوائدها ...

تصوروا يا إخوتي الأحباء أن القديس العظيم الأنبا بولا أول السواح ، ليس له في بستان الرهبان كله سوى عبارة واحدة فقط ، وهذه العبارة هي : قال القديس الأنبا بولا السائح :

« من هرب من الضيقة ، فقد هرب من الله »

لأنه يهرب من الفضائل ، التي يريد الله أن يمنحه إياها عن طريق الضيقة .

لذلك لا تطلب من الرب أن يرفع عنك الضيقة ، إنما أن يعطيك بركتها .

أطلب منه أن يجعل الضيقة تنتهى بخير ، ويعطيك فيها صبراً وقوة ، ويعطيك الفائدة التي تعينها حكمته من وراء الضيقة . وفي الواقع أنت لا تعلم ما هو المفيد لك : أن ترتفع الضيقة أم تبقى ...

وهذا يجعلنا نسأل : ما هو المقصود من كلمة « يستجيب لك الرب » ؟

معنى كلمة : يستجيب لك الرب

« يستجيب لك الرب » معناها انه يصنع معك خيراً ...

يحل إشكالاتك ، يرتب لك أمورك ، يعطيك ما ينفعك ، سواء كان ما ينفعك هو الشيء الذى تطلبه ، أو كان متغيراً عنه بعض الشيء ، أو كان عكسه تماماً ... فما معنى هذا ؟ معناه أن تذكر هذا المبدأ الروحي :

إن الله يعطيك ما ينفعك ، وليس ما تطلبه ، إلا إذا كان ما تطلبه هو النافع لك ... وذلك لأنك كثيراً ما تطلب ما لا ينفعك ...

فإن كنت تطلب ملكوت الله ، فلا بد أن يستجيب لك الرب . لأن هذا الملكوت يتفق مع إرادة الله ، وهو نافع لك . أقول هذا لأن كثيرين لهم طلبات لا علاقة لها بالملكوت ، وقد تكون ضارة بهم ، وقد تكون ضد مشيئة الله . وسنضرب لذلك أمثلة ...

بولس الرسول طلب أن يرفع الرب عنه شوكة أعطيت له في

الجسد (٢ كو ١٢ : ٧-٩) . فأعطاه الرب ما ينفعه ، وليس ما كان يطلبه . وكان الأنفع له أن تبقى هذه الشوكة ، لئلا يرتفع من فرط الإعانات . ولو أنقذه الرب من تلك الشوكة ، ما كان ذلك في صالحه روحياً ...

في إحدى المرات وقع راهب في ضيقة شديدة . وظل يصلى أن يرفع الرب عنه تلك الحرب . ومن أجل لجأته رفع الرب الحرب عنه . وإذا به يسبح في الخيلاء والمجد الباطل . فذهب إلى أبيه الروحى ، وقص عليه قصته . فقال له « اذهب يا ابنى ، واطلب من الرب أن يرجع لك التجربة ، ولكن يعطيك فيها معونة وقوة لكى تنتصر ، لأن التجارب مفيدة للإنسان ... لذلك فإن عبارة « يستجيب لك الرب فى يوم شدتك » ليس معناها على الدوام زوال الشدة ...

إن استجابة الرب ليست مطلقة حسب طلباتنا ، وإلا كان معنى هذا أن نسير الإرادة الإلهية وفق هوانا !!

فى الواقع إذا أردت أن يستجيب لك الرب ، ينبغى أن تطلب حسناً ، وتكون طلبتك موافقة لمشيئته . ومعلمنا يعقوب الرسول يقول :

« تطلبون ولا تأخذون ، لأنكم تطلبون ردياً » (يع ٤ : ٣)

حتى في حياتنا اليومية ، وفي علاقاتنا مع الناس ، كثيراً ما نطلب طلبات نظنها نافعة ، وتكون ضارة بنا . وسأضرب لكم بعض أمثلة :

• قد يتعبك ضرسك مثلاً و يؤلمك جداً ، فلا تحتمل ، وتذهب إلى الطبيب وأنت في شدة الألم ، وتقول له « أرجو أن تخلع لي هذا الضرس ، لأنه يؤلني جداً » ... ولكن الطبيب الحكيم قد لا يستجيب لطلبك ، ويرى الإبقاء على الضرس . وكل ما يعمل أنه ينظفه ويحشوه ، وينقذك من الألم ، وينقذ الضرس أيضاً ، ويكون قد فعل بك خيراً أكثر مما تطلب . وتخرج شاكراً جداً ، مع أنه لم ينفذ طلبك ...

أما كان الأفضل لك ، أن تطلب من الطبيب أن يريحك من الألم ، دون أن تحدد له الطريق والطريقة ، وإنما تترك الأمر لحكمته ، وهو يدبرك بعناية وحب ، فيما أنت مستسلم لعمل عنايته ؟!

• مثال آخر : قد تصاب بحرق ، فتذهب إلى طبيب ، وتقول له « أرجو أن تضع لي مرهماً على هذا الحرق وتربطه » ويرى الطبيب أن تهوية العضو المحروق أفضل من ربطه ، فلا يربطه ...

أتشكرومن أن الطبيب لم يستجب لطلبك ؟! كلا ، لقد استجاب ، ولكن بحكمة . لست أنت الذي ترشده إلى الحل ، بل

هو الذى يرشدك ...

كذلك الله : تطلب منه الطلب ، فبكل رحمة وحب يستجيب لك ، ولكن بالوسيلة التى يراها ، وفى الموعد الذى تحدده حكمته . هو يعرف النافع لك . وفى كل مرة تطلب ، يقول لك : قد سمعت لطلبتك ، وسأعطيك ، إنما اتركنى أتصرف ...

اطمئن إذن ، واصبر ، ولا تفرض على الرب عقليتك . لا تطلب الطلب ، وتحدد الوسيلة والوقت ، وتدخل فى التفاصيل !!

لا تقلق . إن الله حتماً سيستجيب لك فى يوم شدتك ، ولكن بطريقته وليست بطريقتك . إلا لو كانت طريقته هى طريقته ...

• مثال آخر للطلبات الخاطئة ، وقد صدرت من قديسين !!

ابراهيم أبو الآباء ، لما يئس من أن يأتى له من سارة نسل ، طلب إلى الرب قائلاً « ليت اسماعيل يعيش قدامك » (تك ١٧ : ١٨) .

وكان طلب ابراهيم أبى الآباء والأنبياء ، ضد مشيئة الله ... !
لذلك لم يستجب له الله ، ورد عليه « بل سارة امرأتك تلد لك إبناً ... وأقيم عهدى معه » ... لقد استجاب الله لإبراهيم من جهة

اعطائه نسلًا ، ومباركته لنسله ، وإعطائه العهود والموااعد ... ولكن ليس بالأسلوب الذى اقترحه ابراهيم ...

*** يونان النبي أيضاً ، طلب من الله طلباً ردياً ، فلم يستجبه !**

كان يونان قد نادى بهلاك نينوى ، وتابت نينوى ، وقبل الله توبتها فلم تهلك . وحزن يونان لأن كلمته قد سقطت . وطلب من الرب قائلاً « فالآن يارب خذ نفسى منى ، لأن موتى خير من حياتى » (يون ٤ : ٣) ، وكرر يونان الطلب مرة أخرى (٤ : ٨) .

ولم يستجب الله ليونان ، فلم يأخذ نفسه منه ، إذ لم يكن فى صالحه أن يترك العالم فى هذه الحالة من التدمير والغم ، والتمركز حول الذات ، والمعارضة لمشية الله ، والحزن عند خلاص الناس !!

ومع أن الله لم يستجب لحرفية طلب يونان ، إلا أنه فى الواقع استجاب للطلبة الحقيقية التى فى أعماق نفسه ...

كانت عبارة « خذ نفسى منى » ، معناها « أنا حزين ، وأريد أن أعاتبك لكى تصالحنى » . وفعلاً صالحه الله ، ولم يأخذه بحرفية هذه الطلبة الردية التى قالها فى حالة غم ...

فلا تتضايق إذا طلبت من الله طلبه وشعرت أنه لم يستجبها . ربما

تكون استجابتها في عدم استجابتها ...

• نضيف إلى مثالي ابراهيم و يونان ، مثال بولس الرسول ، لما طلب من الرب أن يرفع عنه شوكة أعطيت له في الجسد ...

• بنفس الوضع ، قد تطلب من الرب لأجل شفاء مريض ، ولا يشفى بل يموت . لا تتضايق وتظن أن الله لم يستجب في وقت الشدة !

ربما ملائكة كثيرون ممسكون بالأكاليل ، كانوا ينتظرون خروج نفسه من هذا العالم الباطل ، لكي يزفوها إلى الفردوس . وأنت تريد بصلواتك أن يظل هذا المريض مربوطاً بالعالم !!

وكما فرح الله وملائكته بانتقال هذا المريض إلى الفردوس ، لأن « ذلك أفضل جداً » (في ١ : ٢٤) ، فرح هو نفسه لما خرج من الجسد ، ووجد أن الوضع الذي صار فيه أسوأ وأبش بكثير ، واستراح إلى الأبد من آلام الجسد ... وفي نفس الوقت فرحت نفوس الأبرار باستقباله ، وهنأتة على أنه أكمل جهاده على الأرض .

ووسط هذا الفرح ، بقيت أنت الحزين ، لأن صلواتك لم تستجب !! بينما كانت استجابتها في عدم استجابتها ...

يجب أن تؤمن أن الله أحسن علينا من أنفسنا ، وهو أدرى

بالنافع لنا ... كثيراً ما يكون الحنان الذى فى قلوبنا حناناً أرضياً ،
له مقاييسه البشرية التى تختلف كثيراً عن المقاييس الإلهية ،
العميقة فى حبها ، وفى حكمتها ...

يالىت طلباتنا التى نطلبها من الله ، تكون موافقة لمشيئته الإلهية
الصالحة . وليتنا أيضاً لا نشق كثيراً بفهمنا البشرى . وفى كل مرة نرى
أن طلباتنا لم تستجب ، ندرك أن وراء هذا حكمة إلهية ، إن لم نفهمها
الآن فسنفهمها فيما بعد ...

**إن الكتاب المقدس مملوء بأمثلة لاستجابة الرب فى يوم
الشدة ، نذكر من بينها على سبيل المثال :**

دانيال ، حينما ألقوه فى جب الأسود .
الثلاثة فتية ، حينما ألقوهم فى أتون النار .
يونان ، وهو فى جوف الحوت ، وقد صلى إلى الرب .
موسى والشعب ، وهم أمام البحر الأحمر ، والعدو خلفهم .
استير ، وهى داخله للقاء الملك احشويرش .
ايليا النبى ، فى وقت المجاعة ، وفى مطاردة ايزابل له .
داود النبى ، يطارده شاول الملك طالباً نفسه .
يوسف الصديق ، فى البئر ، وفى التجربة ، وفى السجن .

بطرس الرسول ، وهو في السجن منتظراً مصيره .
إلى غير ذلك ، من الأمثلة التي لا تحصى ، والتي تحقق فيها قول
المزمور « يستجيب لك الرب في يوم شدتك » ...

وما أكثر الأمثلة أيضاً في التاريخ وفي حياة الأفراد .
من الصعب أن نحصيها ، ولكننا نذكر من بينها :

القديس أثناسيوس الرسولي ، وهو هارب ومختف لأجل الإيمان ،
أو وهو قائم أمام مجمع عقده الأرمن في صور ، لمحاكمته ، موجهين
إليه تهماً مزورة ، ومقدمين شهوداً كذبة ...

أو القديس الكسندروس بطريرك القسطنطينية ، وقد أمره
الإمبراطور بقبول أريوس في شركة الكنيسة ، ف قضى الليلة هو وبعض
القديسين في الصلاة ... ومات أريوس في تلك الليلة ، إذ انسكبت
أحشاؤه في مرحاض عمومي ... واستجاب الرب في يوم الشدة .

الأمثلة في هذا المجال ، تحتاج إلى كتاب خاص ، يجمع فيه أحد
الأحباء قصص الإستجابة في تاريخ الكنيسة ، أو في قصص
القديسين ، أو في حياة أفراد من الشعب ، ويكون كتاباً للتعزية
ولتشبيت الإيمان ...

يستجيب لك الرب

الرب هو الذى يستجيب لك ، وليس الذراع البشرى .

وقد أدرك داود النبي هذه الحقيقة فقال « الإ تكال على الرب ،
خير من الإ تكال على البشر . الرجاء بالرب خير من الرجاء
بالرؤساء » (مز ١١٧) . وركز على الرب ، فقال « الرب لى معين ،
وأنا أرى بأعدائى . يمين الرب صنعت قوة ، يمين الرب رفعتنى »
(مز ١١٧) .

إن الرب هو الذى يستجيب و يعين و ينقذ ، لذلك قال
الكتاب :

« ملعون الرجل الذى يتكل على الإنسان ، ويجعل البشر
ذراعه » (أر ١٧: ٥) .

إن وقفت وحيداً فى كل شدائدك ، وإن تركك الأصدقاء
والأحباء ، فلا تتضايق ، « يستجيب لك الرب فى يوم شدتك » .

إن أبانا ابراهيم ، لما (تأخر) عليه الرب فى الإستجابة ، ولجأ إلى
طرق بشرية مثل هاجر (تك ١٦) ومثل قطوره (تك ٢٥) ، لم يستفد
من كل تلك الطرق شيئاً . و يوسف الصديق ، وهو فى السجن ، لما

لجأ إلى معونة رئيس السقاة ، وطلب إليه أن يذكره أمام فرعون
(تك ٤٠ : ١٤) يقول الكتاب إنه نسيه (تك ٤٠ : ٢٣) .

إن الإستجابة هى من الرب ، ومن الرب وحده ...
إنما فى استجابة الرب لك وقت الشدة ، تذكر أمرين :
أ - أطلب ما يتفق ومشية الله ، لكى يستجيب لك الرب .
ب - تذكر أمثلة من استجابة الرب لأولاده ، لتثق وتتغزى .

ما معنى وقت الشدة

من الجائز أن يكون وقت الشدة هو وقت الضيقة ، وقت الألم ،
أو ساعة التجربة ...

ومن الجائز أن يكون يوم الشدة هو يوم الموت ...
ومن الجائز أن تكون الشدة ، هى ساعة الوقوف أمام الديان
العادل ، يوم الدينونة .

فى ضيقتك الرب يذكرك ، وبخاصة إن لم يكن هناك حل .

كلما تتعقد الأمور ، ويبدو أنه لا مخرج ، ينظر الرب ، ويريك
أنه توجد عنده حلول كثيرة . وقد جرب داود النبي هذه الشدة فقال :
« أبث لديه ضيقى ، عند فناء روحى منى ... فى الطريق التى
أسلك ، أخفوا لى فخاً . تأملت عن اليمين وأبصرت ، فلم يكن من

يعرفنى . ضاع المهرب منى ، وليس من يسأل عن نفسى . فصرخت
إليك يارب ، وقلت أنت هورجائى وحظى فى أرض الأحياء . انصت
إلى طلبتى ، فإنى قد تذلت جداً » (مز ١٤١) .

إن عبارة (شدة) تشمل كل محاربات الشياطين والناس
الأشرار :

تلخصها الكنيسة فى قولها « كل حسد ، وكل تجربة ، وكل فعل
الشيطان ، ومؤامرة الناس الأشرار ، وقيام الأعداء الخفين
والظاهرين ، انزعها عنا وعن سائر شعبك ... » .

وضربات الشيطان لا تحصى ، وهو كأسد يزأر ، يجول ملتمساً
من يبتلعه (١ بط ٥ : ٨) . يضرب ضربات اليمين ، وضربات اليسار ،
يحارب الجسد بالشهوات ، كما يحارب العقل بالأفكار ، ويحارب
الروح بالتجاديف والشكوك ، ويحارب بكل عنف ، وبلا رحمة . وفى
كل حروبه تقف الكنيسة إلى جوار كل ابن من أبنائها ، تهمس فى
أذنيه « يستجيب لك الرب فى يوم شدتك » .

كذلك فى الدسائس والمؤامرات التى تقوم على الناس .

تلك التى صرخ منها داود قائلاً « يارب لماذا كثر الذين يحزنوننى .
كثيرون قاموا علىّ . كثيرون يقولون لنفسى : ليس له خلاص بإلهه »

(مز ٣) . فى كل هذا يستمع هذه العبارة المعزية « يستجيب لك الرب فى يوم شدتك » ، فيجيب داود « الرب ناصرى ، لا أخاف من ربوات الجموع المحيطين بى القائمين علىّ » .

ووقت الشدة ، قد يكون أيضاً ساعة خروج الروح من الجسد ... وأى شدة ؟!

فى ساعة خروج الروح من الجسد ، هناك من يقول « يارب ارحم ، يارب اغفر ، يارب اصفح ، يارب سامح ... » ... إن مصيره سيتقرر ، وفترة اختباره قد انتهت ، لذلك يقول هذه الطلبة من كل قلبه ، من عمق أعماقه ، بكل صدق ، بكل توبة ... ويستجيب له الرب فى يوم شدته .

وهناك من يطلب نفس الطلبة ، ولا يستجاب ، لأنها ليست طلبية جدية ، وليست من القلب ، وليست عن توبة . والله يعلم جيداً أن حياة هذا الإنسان لو امتدت على الأرض ، لبقى فى خطاياہ ...

ومن الجائز أن يكون يوم الشدة ، هو يوم الصراع مع الخطية ...

يوم تأتيك فيه الشدة من داخلك ، وليس من الخارج ، من فكرك ، من قلبك ، من حواسك ، من شهواتك ، من طبعك ... أو قد تأتيك من الداخل والخارج معاً : فى الخارج حروب وعثرات ، وفى

الداخل قبول واستجابة ، أوفى الداخل ضعف واستسلام وعدم قدرة
على المقاومة ...

وقد يكون يوم الشدة ، هو يوم كبر يائك واعتزازك بنفسك ، أو يوم
شكوكك ، أو يوم فتورك ... هو يوم شديد عليك روحياً ...

في هذه كلها تحتاج إلى معونة من فوق ، تحتاج إلى نعمة تسندك ،
وقوة من الروح القدس .

تحتاج إلى صلوات قديسين كثيرين تسندك في جهادك وفي
صراعك ، لكى تقاوم حتى الدم ، مجاهداً ضد الخطية (عب ١٢ : ٤) ،
عالمًا أنك لا تجاهد وحدك ، وإنما الرب معك في يوم شدتك حتى لا
تسقط ...

ومن الجائز أن تؤخذ هذه الطلبة بمعنى آخر ...
فعبارة « يوم شدتك » قد تعنى الحياة كلها ، إن كانت
كلها ألماً .

إن السيد المسيح نفسه ، قد قيل عنه إنه « رجل أوجاع ومختبر
الحزن » (أش ٥٣ : ٣) ، « أحزاننا حملها ، وأوجاعنا تحملها » . ولم
تفارقه الشدائد أبداً .

على أية الحالات ، أياً كانت الشدة ، نوعها ، أو مدتها ، فاطلب
الرب وهو يستجيب لك في يوم شدتك .

ومن جهة الرب ومشاعره المملوءة حنواً من نحو البشر ، ما أجمل
قول الكتاب :

« في كل ضيقهم تضايق ، وملاك حضرته خلصهم »
(أش ٦٣ : ٩)

ملاحظات على الإستجابة :

١ — أول نصيحة نقدمها لك ، لكيما تصل إلى الإستجابة هي :
إعمل ما يساعد على الإستجابة ، إذ لا شك عليك دور :
لا تنم مغمضاً عينيك ، ثم تصرخ « يارب استجب » ، إنما اعمل
مع الله ، لأجل نفسك ، فتم الإستجابة ... قد تطلب وتعاتب الرب ،
لماذا لم يعمل ، ويكون السبب هو أنك أنت لم تعمل معه ...

إن استجابة الرب لك ، ليس معناها تراخيك وتكاسلك ...
جاهد إذن واتعب . إبدل كل ما تستطيع . إعمل مع الله .
إشترك مع الروح القدس . سلم إرادتك كلها . واذكر قول الكتاب :
« ملعون من يعمل عمل الرب برخاوة » (أر ٤٨ : ١٠)

لذلك في بعض الأحيان يكون عدم الإستجابة ، ليس سببه الله ،
وإنما نحن . نحن الذين كنا السبب في وقوعنا في الشدة بتصرفاتنا
الخاطئة . ونحن الذين كنا السبب في عدم الإستجابة ، بعدم وضعنا
أيدينا مع الله في العمل للخروج من هذه الشدة . لم نكن أقوياء

لقلب ، ولا أشداء في الإيمان ، ولا نشطاء في العمل الإلهي . لم نسهر معه ساعة واحدة ، ولم نلق شباكنا في الأعماق كما أمر ، ولم نسر معه تحت السحابة ، ولم نلطح أعتاب أبوابنا بدم الفصح كما أمر ، ولم نلبس سلاح الله الكامل (أف ٦) .

٢ - ربما تحتاج الإستجابة أحياناً إلى صبر وانتظار للرب ...

قد يكون الله قد حدد وقتاً للإستجابة - حسب حكمته - ولم تأت ساعته بعد . وعلينا أن ننتظر ، ولكن ليس في قلق أو ضيق أو بأس ، وإنما كما قال داود النبي « إنتظر الرب . تقو ، وليتشدد قلبك ، وانتظر الرب » . وقد حكى خبرته الشخصية في ذلك فقال « انتظرت نفسي الرب من محرس الصبح حتى الليل » . إن الرب لا بد سيستجيب ، ولكن في ملء الزمان .

لقد استجاب لأبينا ابراهيم ، ولكن بعد زمن ، حورب فيه ابرآم باليأس فأخذ هاجر . وضحكت سارة في قلبها من إمكانية تحقيق وعد الرب (تك ١٨ : ١٢) . ولكن وعد الرب تحقق على الرغم من طول المدة .

ولعلنا نلاحظ أن الأبناء الذين سمح الله بولادتهم بعد عقر وعقم ، وبعد انتظار طويل لاستجابة الرب ، كانوا كلهم من نوعيات طيبة جداً : سواء اسحق الذي حمل حطب المحرقة ، أو

صموئيل الذى مسح الملوك بقنينة الدهن ، أو يوحنا المعمدان أعظم من ولادته النساء ، أو يوسف الصديق مثال العفة والنجاح الذى أخذ سبطين ضعف أخوته ...

صلاتك التى تصلبها ، تأكد أنها محفوظة عند الرب ، لم تضع .

إنها مخزونة عنده ، سيحققها مادامت توافق مشيئته ، ولكن فى الحين الحسن . تماماً مثل بذرة تودعها الأرض ، وتظل أياماً وأسابيع ، وربما شهوراً ، دون أن تجد شيئاً قد نبت منها على وجه الأرض . ولكنها لم تمت مطلقاً ، هى مخزونة ، فى حفظ أمين ، تنتظر عوامل الإنبات ، أو موعد الإنبات ، أو قد تكون فترة نضوجها طويلة ، مثل نواة النخيل مثلاً (نقاية البلح) ربما تستمر بضعة شهور تحت الأرض ، وبعد ذلك ترى شيئاً مثل سنن الدبوس فوق سطح الأرض ، يكون هو بدء حياة النخلة المقبلة فوق سطح الأرض . لذلك حسناً أن تضع البذرة فى الأرض ، ولا تقلق على موعد ظهورها ، ولا تستعجله ... هكذا أيضاً فى صلاتك واستجابتها .

صلاتك قد سمعها الله . هى فى فكره وفى قلبه ، وفى إرادته أيضاً . أتركها إذن ولا تقلق على استجابتها . يكفىك أنها دخلت إلى حضرة الله . يكفىك أن الله قد سمعها . وعن هذا الأمر فقط كان يصلى داود أحياناً « يارب استمع صلاتى » « فلتدخل طلبتى إلى حضرتك » .

مادام الرب قد سمع الصلاة ، إطمئن إذن .

٣ - الأمر إذن يحتاج إلى إيمان ، بأنه إذا سمع استجاب .

كان داود النبي يفتخر بهذا الأمر ، و يؤمن بهذه الإستجابة ، وهو مازال واقفاً يصلي . فهو في المزمور السادس ، يبدأ صلاته بقوله « يارب لا تبسني بغضبك ، ولا تؤدبني بسخطك . إرحمني يارب فإني ضعيف . إشفني فإن عظامي قد اضطربت ، ونفسي قد انزعجت جداً » . ولكنه يقول في آخر صلاته « إبعدوا عني يا جميع فاعلي الإثم ، لأن الرب قد سمع صوت بكائي ، الرب سمع تضرعي ، الرب لصلاقي قبل » (مز ٦) . لقد وثق - وهو يصلي - من سماع صلاته ومن قبولها ، لذلك انتهر أعداءه الشامتين به .

في وثوقه بالإستجابة ، كان يقول « بصوتي إلى الرب صرخت ، فاستجاب لي من جبل قدسه » (مز ٣) . ليتك تردد هذه الآية من المزمور لتعطيك عزاء .

لذلك ما كان داود يكلم الله فقط ، إنما كان يكلمه ، ويسمع صوته ، أعني يسمع صوت استجابته ... بالإيمان .

أنظروا إليه ماذا يقول ؟ « إني أسمع ما يتكلم به الرب الإله . لأنه يتكلم بالسلام لشعبه ولقديسيه وللذين رجعوا إليه بكل قلوبهم » .

ما أكثر الأمثلة التي تحملها المزامير عن هذه الخبرة الروحية في استجابة الرب ، وفي ثقة المصلي بهذه الإستجابة . ليس الآن مجال سرد هذه الأمثلة . فلننتقل إلى نقطة أخرى ...

٤ - ما أكثر الحالات التي يستجيب فيها الرب ، دون أن تطلب .

إن الله كأب ، يعرف احتياجات أبنائه . يعرف ضيقاتهم وشدتها وحاجتهم إلى الخلاص ، لذلك فهو يستجيب أحياناً للشدة التي هم فيها ، وليس فقط للصلاة بسبب الشدة . إنه أرسل موسى النبي لخلاص شعبه المستعبد من فرعون ، دون أن يطلب هذا الشعب الخلاص من العبودية ...

إن الأجرة المبخوسة التي يأخذها الفعلة الحصادون ، تصرخ إلى الله ، قبل صياح الحصادين (يع ٥ : ٤) . وحتى إن لم يصرخ الحصادون ، فإن الظلم نفسه يصعد إلى الله « والرب يحكم للمظلومين » (مز ١٤٥) حتى دون أن يصرخوا إليه . الرب يصنع العدل على الأرض ، ويقيم الميزان بين الناس ، ولا ينتظر منهم أن يقدموا الشكاوى ... إنه يعرف ...

بل هناك شدائد ينقذك الله منها دون أن تعرفها . كانت تدبر ضدك ، والرب رأى من سمائه ، وأفسد تدبير أعدائك دون أن تعلم به ، وبالتالي دون أن تصلى .

إذن الرب يستجيب لحاجتك ، قبل أن يستجيب لصلاتك
هو يعرف حاجتك ، و يعطيك إياها دون أن تطلب . كما يفعل
الأب مع أطفاله ، والطفل لا يعرف أن يطلب . و يقول المزمور
« حافظ الأطفال هو الرب » .

وكما يفعل الراعى الأمين مع الخروف الضال ، يبحث عنه ،
و ينقذه مما هو فيه ، و يرجعه إلى حظيرته ، دون أن يطلب . مجرد
حالته تحتاج إلى استجابة ...

بنفس الوضع ، يستجيب الله لحالة الأرض ، يُنزل لها من السماء
ما تحتاجه من المطر ، و يشرق عليها بما تحتاجه من الضوء والحرارة ،
دون أن تطلب .

هـ - إن أسلوب الإستجابة من الشدة يختلف عند الله من
حالة إلى أخرى :

فهناك حالات يستجيب لها الله استجابة فورية ، في نفس لحظة
الطلب ، حالات لا ينفع معها الإبطاء ، كحالة بطرس حينما سقط في
الماء ، و كحالة الثلاثة فتية في أتون النار ، ودانيال في جب الأسود ،
وكشق البحر الأحمر ، وضرب الصخرة لكي تفجر ماء .

وهناك حالات تأخذ بعض الوقت ، كبقاء يونان في جوف

الحوت ثلاثة أيام ، وكانزال المطر من السماء في الصلاة السابعة لإيليا النبي ، وليس من أول صلاة . وهذا المثل يعلمنا اللجاجة في الصلاة .

وهناك أمثلة أخرى تأخذ زمناً طويلاً ، وتعلم الصبر ، مثل الإستجابة لابراهيم في إعطائه نسلًا من سارة .

هذا من جهة الوقت ، أيضاً يوجد تمايز من جهة النوعية في استجابة الرب للمصلوات ، ويتوقف هذا الأمر على حكمة الرب ونظرته إلى الأمور...

وماذا أيضاً ؟ ...

٦ - توجد استجابة ، يقصد بها الرب أن يمنح المصلي إكليلاً .

أو أن يمنحه الرب أمجاداً من هذه الشدة ، كما فعل الرب مع الشهداء والمعترفين وأبطال الإيمان . فعبارة « يستجيب لك الرب في يوم شدتك » ، معناها أن الرب سيمجدك في الشدة و يقبلك أمامه كمحرقة ... المحرقة التي توضع على النار ، وتظل النار تعمل فيها ، حتى تصعد إلى الله رائحة طيبة ، يتنسم منها الله رائحة الرضا (لا ١ ، ٦) .

كحفنة بخور وضعت في المجرمة . وظلت النار تشتعل في البخور ، وهو مستسلم لها ، حتى تحول البخور إلى رائحة سرور ، وصعد إلى

الرب ، وظل يحتمل الشدة إلى آخر حبة من حباته ، إلى آخر نسمة من
نسماته .

هنا لا يحدث مطلقاً أن تتمرد حبات البخور على النار . بل إن
بعدت حبة منها ، نأى بالمستير ، بملقة البخور ، ونقرها إلى الجمر
لتحترق ، لأن مجدها في احتراقها . رسالتها هي هذه ، أن تقدم ذاتها
رائحة زكية في الكنيسة ، وأن تصعد إلى فوق . واستجابة الرب لها ،
تعني قبولها كمحرقة ، قبولها كرائحة طيبة ، قبولها كمستحقة للإكالييل
وللأجناد المعدة .

هذا المثال لقديسين كبار ، من نوع معين ، وليس للكل ...

إن استجابة الرب للشهداء في يوم شدتهم ، لم تكن بإنقاذهم من
الإستشهاد ، إنما كانت بإعطائهم الإحتمال في آلامه ، والقوة على
إتمامه ، لكي ينالوا المجد المعد لهم . وكما تألموا معه ، يتمجدون أيضاً
معه .

والسيد المسيح وهو على الصليب ، في يوم شدته ، استجابة الآب
له لم تكن في إنقاذه من الصليب ، مثلما صاح بعض المتجمهرين ، إنما
كانت الإستجابة في قبوله كذبيحة حب ، كفارة عن خطايا العالم ،
وفي تمجيده باعتباره الفادي الذي فدى العالم كله . ولذلك قال الرب
في طريقه إلى الجلجثة « مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك ، بالمجد
الذي كان لي عندك قبل كون العالم » (يوحنا ١٧ : ٥) .

فى كل شدة ، الرب يستجيب ، بالطريقة التى تناسب حكمته
ومحبته .

وما دام الرب يستجيب لك ، إذن لا تضطرب ولا تقلق ...
ليمتلئ قلبك سلاماً ، وافرح فى صلاتك . تصور أن داود النبى
يربّت على كتفك ، وأنت تصلى مزامير الساعة الثالثة ، وهمس فى
أذنك قائلاً « يستجيب لك الرب فى يوم شدتك » . وأنت بكل فرح
وطمأنينة ، تقول مبارك أنت أيها الرب فى وعودك الصالحة ، وفى
وعودك الصادقة الأمانة .

أنا يارب سأتمسك بهذه العبارة ، كلما أقع فى ضيقة ،
وأحاججك بها ... ألم تقل « هلم نتحاجج » . ليكن . أنت وعدت
بأن تستجيب فى وقت الشدة ، ووعدك صادق وأمين ، وأنا متمسك
به ، بكل إيمانى و يقينى وثقتى بك ، كإله محب للبشر ، وكإله إذا وعد
لا بد ينفذ ...

يقول المزمور « يستجيب لك الرب فى يوم شدتك ، ينصرك إسم
إله يعقوب » ، فما هى أعماق هذه العبارة الثانية :

ينصرك إسم إله يعقوب

أنت فى حرب روحية ، والكتاب يقول لك « ينصرك إسم إله
يعقوب » فما المقصود بعبارة « ينصرك » ؟

ليس المقصود على الدوام أنه ينصرك على أعدائك والمقاومين
والمضطهدين لك ، الخفيين والظاهرين ، فمن الجائز أن ينصرك
على نفسك :

ينصرك على غرائزك وشهواتك ، على رغباتك ومشاعرك وأفكارك .
ينصرك على الوحش الكامن في أحشائك من الداخل . ينصرك على
طبائعك وعلى نفسيتك وانفعالاتك ، سواء كان فيك خوف أو يأس ،
أو ملل وعدم ثبات ، أو اضطراب ، أو حقد ، أو ذاتية ، أو كبرياء ،
أو حسد ...

ينصر روحك على جسدك ، وينصر عقلك على نزواتك .
ينصر الحكمة فيك على الإنفعال ، وينصر التضحية فيك على
الذاتية .

إنها ليست مجرد نصرة على الناس ، فالكتاب يقول إن « مالك
روحه خير ممن يأخذ مدينة » (أم ١٦ : ٣٢) .

ينصرك في كل الإغراءات التي تعرض لك ، كإغراءات الخطية
التي عرضت ليوسف الصديق ، أو إغراءات المناصب والغنى والرفعة
والمجد الدنيوي التي عرضت للشهداء والمعترفين . كذلك ينصرك في
مجال المخاوف . يجعل الرب قلبك قلعة حصينة لا تنال . كما قال في
وعده لأرمياء النبي حينما خاف من أعدائه المعتزين أكثر منه « هاأنذا

قد جعلتك اليوم مدينة حصينة ، وعمود حديد وأسوار نحاس على كل الأرض ... فيحاربونك ولا يقدرّون عليك ، لأنّى أنا معك يقول الرب ، لأنقذك » (أر ١٨ : ١٩ ، ١٩) .

أو كما قال الرب لبولس الرسول « لا تخف ، بل تكلم ولا تسكت ، لأنّى أنا معك ، ولا يقع بك أحد ليؤذيك » (أع ١٨ : ٩ ، ١٠) .

إن كان هناك وعد من الله بأن ينصر إنساناً ، ففهما قامت عليه الدنيا كلها ، فإنه يكون مطمئناً .

وفى ذلك قال داود النبي « الرب نورى وخلصى ، ممن أخاف ؟! ... إن يحاربني جيش ، فلن يخاف قلبى . وإن قام علىّ قتال ، ففى هذا أنا مطمئن » (مز ٢٦) .

الرب مع أولاده . يستجيب لهم ، وينقذهم من كل شدة ، وينصرهم « لا يترك عصا الخطاة تستقر على نصيب الصديقين » (مز ١٢٤) .

ليس معنى هذا أنه يمنع عنهم الألم تماماً ، فللألم بركته ، ولكنه ينصرهم أخيراً ، بعد أن يتحملوا من أجل اسمه .

إنه يسمح للعصاة أن تأتى عليهم ، ولكنه لا يسمح لها أن « تستقر » . يسمح لهم بالألم ، ولكن لا يسمح بالهزيمة . تصيبهم

المضربات ، و يتلقونها في شجاعة واحتمال وصبر ، ولكنهم ينتصرون
أخيراً... كما حدث بالنسبة إلى عصور الإستشهاد . اجتازت الكنيسة
بحار الألم والدم والعذاب . وانتصرت أخيراً . لم تقدر عليها السيوف
ولا السجون ولا الشكوك .

الشیطان يأخذ فرصته ، ويحارب أولاد الله ، و يستخدم كل
أسلحته . ولكن الرب يضع له حداً ، و يقضى على كل أعماله . وفي
ذلك قال داود النبي « مراراً كثيرة حاربوني منذ صباى ... وإنهم لم
يقدرُوا عليّ... على ظهري جلدني الخطاة ، وأطالوا إثمهم . الرب
صدّيق هو ، يقطع أعناق الخطاة » (مز ١٢٨) ... أى يبعد أذاهم ، فلا
يبقون أعداء إلى الأبد ...

« ينصرك إسم إله يعقوب » . ينصرك في حروبك الروحية ، وفي
ضيقاتك .

وقد تكون هذه الحرب غالباً من جانب واحد ...

هم « يحاربونك » (أر ١ : ١٩) ، دون أن تحاربهم أنت ،
ولكنهم لا يقدرُون عليك ... كما قال داود « أحاطوا بي احتياطاً
واكتنفوني ... أحاطوا بي مثل النحل حول الشهد ، والتهبوا كنار في
شوك » (مز ١١٧) . وماذا كانت النتيجة ؟ يقول « دُفعت لأسقط ،
والرب عضدني ... يمين الرب صنعت قوة ، يمين الرب رفعتني »
(مز ١١٧) ...

ولا يقصد بالنصرة هنا ، القضاء على أعدائك ، إنما يقصد بها غالباً الخلاص من أعدائك ، والإفلات من فخاخهم المنصوبة لك .

وفي ذلك يقول داود النبي « لولا أن الرب كان معنا ... حين قام الناس علينا ... لا ابتلعونا ونحن أحياء ... مبارك الرب الذي لم يسلمنا فريسة لأسنانهم ... نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين . الفخ انكسر ، ونحن نجونا . عوننا من عند الرب الذي صنع السماء والأرض » (مز ١٢٣) .

أولاد الله لا يعتدون على أحد . فالذى يقدم الخد الآخر ، ويسير الميل الثانى ، لا يمكن أن يعتدى على غيره . ولذلك فالإنتصار الذى يقصده المزمور هو الإنتصار فى الحروب والإعتداءات التى تأتى من الغير . والرب يخلص أولاده منها .

هذا الإنتصار أيضاً جربه الآباء السواح ، والمتوحدون فى الجبال .

عاشوا فى وحدة شبه كاملة . فى البرارى والقفار وشقوق الجبال . ومع ذلك تعرضوا لحروب شديدة جداً من الشياطين ، كما حدث للقديس الأنبا أنطونيوس مثلاً : حروب بالشكوك ، وبالمخاوف والمناظر المفزعة ، وأحياناً بالإيذاء ، وحروف بالأفكار ، وبالعثرات . وبعض المتوحدين حاربوا بالرؤى وبالمناظر الكاذبة ، والأحلام التى

من الشياطين ، إلى جوار حروب الملل والضجر والكآبة ، وحروب
الكبرياء... وفي كل ذلك كان يرن في آذانهم قول المزمور « ينصرِكَ
إِسْمُ إِلَهٍ يَعْقُوبَ » .

« ينصرِكَ » لأن الله لا يحب لأولاده الهزيمة ...
الله يريدك أن تكون دائماً منتصراً وغالباً ...

إن البعض يفهم التواضع فهماً خاطئاً ، فيظن أن المتواضع ينبغي
أن يكون مهزوماً باستمرار! كلا ، فالمتواضع هو إنسان منتصر . ولكنه
كلما انتصر ، لا يزهى بانتصاره ، ولا ينتفخ ، ولا تكبر نفسه من
الداخل ، ومن الجائز أن يكون (مهزوماً) حسب الظاهر من أعدائه ،
ولكنه منتصر في الداخل .

الله يحب أن يقودنا دائماً « في موكب نصرته »
(٢ كور ١٤ : ١٤) .

يريدنا في كل حياتنا الروحية أن نجاهد ونغلب . ولذلك فإن
القديسين الذين أكملوا الإيمان ، وجاهدوا على الأرض حسناً ، وذهبوا
في بر إلى مكان راحتهم في الفردوس ، نسميهم « الكنيسة المنتصرة » .
أما نحن الذين لا نزال على الأرض فنسمى « الكنيسة المجاهدة » .
فإذا نلنا الغلبة في جهادنا ، حينئذ ننضم إلى صفوف « الكنيسة
المنتصرة » ، هذه التي نصرها إسْمُ إِلَهٍ يَعْقُوبَ ...

هذا الانتصار أو هذه الغلبة ، عبارة مميزة في سفر الرؤيا :

ما أكثر الوعود التي منحها الله للكنائس السبع ، للغالبين :

• من يغلب ، فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة .

• من يغلب ، فلا يؤذيه الموت الثانى .

• من يغلب ، فسأعطيه أن يأكل من المن المخفى ، وأعطيه حصاة

بيضاء ، وعلى الحصاة إسم جديد مكتوب ، لا يعرفه أحد غير الذى يأخذ .

• من يغلب ، فسأعطيه سلطاناً على الأمم ، فيرفعهم بقضيب

من حديد ... وأعطيه كوكب الصبح .

• من يغلب ، فذلك سيلبس ثياباً بيضاء ، ولن أمحو إسمه من

سفر الحياة ، وسأعترف بإسمه أمام أبى وأمام ملائكته .

• من يغلب ، فسأجعله عموداً فى هيكل إلهى ، ولا يعود يخرج

إلى خارج ، وأكتب عليه إسم إلهى ، ومدينة إلهى أورشليم الجديدة ...

• من يغلب ، فسأعطيه أن يجلس معى فى عرشى ، كما غلبت أنا

أيضاً وجلست مع أبى فى عرشه .

إنها مكافآت للغالبين ، بل السماء كلها هى مكان سكنى

الغالبين ، الذين انتصروا على الشيطان والعالم والمادة والجسد

والذات .

هذا ما يقوله الروح للكنائس . ومن له أذنان للسمع فليسمع ...

إن الله يريدك أن تكون منتصراً باستمرار ، غالباً باستمرار .
ويقول الرسول « لا يغلبنك الشر ، بل إغلب الشر بالخير »
(رو ١٢ : ٢١) .

إن الانتصار هو ميزة أولاد الله . وقد شرح لنا سفر الرؤيا كيف
انتصر هؤلاء على التنين العظيم الذى هو الحية القديمة . فيقول القديس
يوحنا الرائى : « وسمعت صوتاً عظيماً قائلاً فى السماء : الآن صار
خلاص إلهنا وملكه وسلطان مسيحه ، لأنه قد طرح المشتكى على
إخوتنا وهم غلبوه بدم الخروف ، وبكلمة شهادتهم ، ولم يحبوا
حياتهم حتى الموت ... » (رؤ ١٢ : ١٠ ، ١١) .

إذن الغلبة لم تكن بقوتهم هم ، إنما بدم الخروف .

حقاً كما قال المزمور : « ينصرك إسم إله يعقوب » ...
إنها ليست قوة المؤمن المحارب ، إنما قوة الله العاملة معه والعاملة
فيه . وهذا الأمر نراه واضحاً فى قصة داود وجليات ، حيث قال له
داود « أنت تأتى إلئى بسيف ورمح ، وأنا آتى إليك بإسم رب
الجنود » ، « اليوم يحبسك الرب فى يدي » ، « فتعلم كل الأرض أنه
يوجد إله » ، « لأن الحرب للرب » (١ صم ١٧ : ٤٥ - ٤٧) .
ما دامت الحرب للرب ، إذن فسوف لا ينصرك السيف والرمح ،
إنما ينصرك إسم إله يعقوب . وإن كان الله ينصرك ، فعش غالباً ،
متغنياً بقوته ونعمته وعمل روحه . وعش قوياً لا تضعف .

هذه القوة وهذه الغلبة ، ذكرهما القديس يوحنا الرسول ، حينما خاطب الشباب قائلاً « كتبت إليكم أيها الأحداث ، لأنكم أقوياء ، وكلمة الله ثابتة فيكم ، وقد غلبتم الشرير » (١ يوحنا ٢ : ١٤) .

إنها قوة الله التي تعطى المؤمن أن ينتصر في حروبه .

لهذا يقول القديس يوحنا أيضاً لأولاده « أنتم من الله أيها الأولاد ، وقد غلبتموهم ، لأن الذي فيكم أعظم من الذي في العالم » (١ يوحنا ٤ : ٤) .

والذي فيكم هو روح الله العامل معكم ، وهو إسم الله الذي به دعيتم . هو القوة التي من فوق إذ « تنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم » (أع ١ : ٨) .

إذن حينما تصلى عبارة المزمور « ينصرك إسم إله يعقوب » كأنك تصلى ضمناً وتقول : أعطني يارب هذه القوة التي بها سأنتصر . إعمل أنت فتى ومعى . كما غلبت العالم ، إغلبه مرة أخرى في حياتي . أأنت أنت الذي قيل عنك « قد غلب الأسد الخارج من سبط يهوذا » .

لا تترك العالم ينتصر ، و يأخذ منك واحداً من أولادك ، أعني نفسي ، إنما إغلب أنت العالم ، وانقذني ، فأبتهج بقول المزمور « ينصرك إسم إله يعقوب » .

إنه مزمو ريملاً القلب حماساً ورجاءً . إذا ما كنت تصليه بعمق ،
فإنه يرفع معنوياتك ، ولا يجعلك تستسلم للخطية أبداً ، ولا يكون لك
روح الفشل . وفي كل جهاد لك من أى نوع ، لا يدركك روح
الفشل ، بل روح الرجاء ، والثقة بمعونة الله الآتية إليك . بل هذه
الثقة تبعثها أيضاً في كل نفس تحيط بك ، حتى في الراكب المخلعة
والأيدي المسترخية ، حتى في كل فتيلة مدخنة ، وكل قصبة
مرضوضة . تقول لكل نفس من هؤلاء وأولئك « ينصرك إسم إله
يعقوب » .

إنما المهم في الانتصار ، أن يكون انتصاراً حقيقياً ...

إن قايين استطاع أن يضرب هابيل و يقتله و يتخلص منه ومن
بره ومن رضى الله عليه . فهل حقاً انتصر قايين على هابيل ، أم
بالحقيقة كان مهزوماً؟! يقيناً إن قايين انهزم أمام خطية الحسد
والغيرة ، وأمام خطية الغضب والحقد ، وأمام خطايا القسوة والعنف
والعدوان والقتل . وكان عاجزاً عن كسب فضيلة المحبة ، ولم يقو على
الخطية الرابضة التي صارت تسود عليه ، وأفقدته بره ، وأفقدته أخاه ،
وأفقدته محبة الله ورضاه ، وصيرته خائفاً هارباً قلق النفس ... ! فهل
هذا انتصار؟! كلا ، بلا شك .

إذن ينبغي أن نفهم الانتصار بمعناه السليم ، ولا نفرح إلا
بالانتصار الحقيقي .

الانتصار الحقيقي ، هو أن تنتصر على الخطأ ... تنتصر على
الشیطان . تنتصر من داخل نفسك أولاً ...

تنتصر على نزواتك وشهواتك ورغباتك . تنتصر على العنف الذى
يحاربك ويدفعك إلى البطش بغيرك . تنتصر على الأنانية والذات
ومحبتك لنفسك . تنتصر على العالم والمادة والجسد ...

هذا هو الانتصار الذى يريده الرب لك ... وإذا انتصرت من
الداخل ، فإن العالم كله لا يقوى عليك ، لأن القلب النقي حصن لا
ينال . قد يحاربك العالم ، ولكنه لا يقوى عليك ، لأن الهزيمة الحقيقية
هى التى من الداخل . فإن كان داخلك سليماً ، نقياً ، ملتصقاً بالله ،
حينئذ « لا يقع بك أحد ليؤذيك » (أع ١٨ : ١٠) ، يحاربونك ولا
يقدرُونَ عليك » (أر ١٩ : ١٩) ، لأن الرب يقودك فى موكب نصرته ،
ينصرك إسم إله يعقوب .

والنصرة يا إخوتى تجلب الفرح ، وتريح الضمير ...

وينسمى بها الإنسان كل تبعه . ويكون هناك فرح فى السماء
بالإنسان الذى انتصر على نفسه ، بخاطيء واحد يتوب .

إن الإبن الضال ، لما رجع إلى نفسه ، وناقشها ، وانتصر على
الباطل الذى عاش فيه فترة ، ورجع إلى أبيه ، قال أبوه « ينبغى أن
نفرح ونسر... » وأعلن هذا الفرح فى السماء ، ليشارك فيه السمائيون
والأرضيون...

وأنت يا أحنى حينما تنتصر ، تذكر أن الانتصار لا يرجع إليك
أنت ، لا يرجع إلى عزيمتك وقوة إرادتك ، إنما إلى الله العامل فيها ،
إذن أن الذى ينصرك هو إله يعقوب .

ولكن لماذا قال الوحي الإلهى : إله « يعقوب » بالذات ؟

لماذا لم يقل مثلاً إله يعقوب ، أو إله إسحق ، أو إله نوح ؟ ... إن
كلمة « يعقوب » ، تشير إلى معنى روحى عميق ، يشجعنا ... فأبونا
يعقوب كان إنساناً ضعيفاً مسكيناً ، والقوة التى ضده كانت شديدة
عليه . كان إنساناً وديعاً طيب القلب ، تقف ضده القسوة والوحشية
التي فى أخيه عيسو ، وقد صمم قائلاً « أقوم وأقتل يعقوب أحنى »
(تك ٢٧ : ٤٢) . وكانت ضده أيضاً الخديعة التى فى خاله لابان ،
الذى زوجه ليئة بدلاً من راحيل ، وغير أجرته عشر مرات ، وطارده
حتى وهو خارج من بيته ...

كان يعقوب ضعيفاً ، خائفاً ، لما كان مزمرعاً أن يقابل عيسو ،

خاف أن يضربه هو وزوجاته وبنيه ، لذلك قسمهم فرقاً ، كل فرقة تتقدم وتسجد أمام عيسو ، وتترضاه بكلمة لينة . وهو نفسه سجد سبع مرات قبل أن يقترب إلى أخيه ، قائلاً له « لأجد نعمة في عيني سيدى » (تك ٣٣ : ٨) .

وصلى إلى الله قبل هذه المقابلة قائلاً فى صلاته « نجنى من يد أخى ، من يد عيسو ، لأنى خائف منه أن يأتى ويضربنى الأم مع البنين . وأنت قد قلت إني أحسن إليك ... » (تك ٣٢ : ١١ ، ١٢) .

إذن إله يعقوب ، هو إله الضعفاء العاجزين عن حماية أنفسهم .

إله الودعاء ، إذا وقفوا أمام الأقوياء المعتزين بقوتهم .
إله العصفور ، إذا نصبت فى طريقه فخاخ الصيادين .
إله أبينا أنطونيوس الذى تهجم عليه الشياطين ، فيقول لهم فى انسحاق « إني أضعف من أن أقاتل أصغركم » .

حسن جداً أن القديس داود النبى ، تذكر أبانا يعقوب الهارب من قوة أعنف منه ، ملتمساً مراحم الله ، مطيعاً نصيحة القديسة رفقة أمه ، التى قالت له : إهرب إلى أخى لابان ، وأقم عنده ... حتى يترد سخط أخيك ، حتى يترد غضب أخيك عنك » (تك ٢٧ : ٤٣ - ٤٥) .

هذا هو المثل الذى وقف أمام داود فى مزموه .

لم يلتمس رحمة إله شمشون ، الذى كان يستطيع بقوته أن يهزم مدينة ، على الرغم من أن قوته هى من الله أيضاً ... بل وضع أمامه يعقوب الضعيف الذى لا قوة له ، ولا سلاح له سوى الصلاة .

يعقوب الذى على الرغم من ضعفه ، يستطيع أن يصارع مع الله ، ولا يتركه حتى ينال منه البركة (تك ٣٢ : ٢٦) ، وقيل عنه إنه جاهد مع الله والناس وغلب (تك ٣٢ : ٢٨) .

يعقوب الذى فى ضعفه ، كان صاحب رؤى ، وصاحب مواعيد ، وصاحب خبرات روحية ، وقد قال « نظرت الله وجهاً لوجه » (تك ٣٢ : ٣٠) . وهذه الرؤى والمواعيد والخبرات ، كانت قوة الله هى التى تنصر ضعفه ، بمواعيد الله هى التى تعزیه فى كل شدائده ، لذلك حسناً قال الوحي لداود « ينصرك إسم إله يعقوب » .

ينصرك إله هذا الإنسان الذى لم يكن يعرف أن يدافع عن نفسه ، ينصرك كما نصره فى كل المواقع ، فنجاه من لابان ومن عيسو ، كما نصره أيضاً فى موضوع ابنه يوسف ، فرآه أخيراً وفرح به .

ينصرك إله العاجزين والمساكين ، إن وقفت أمامه ضعيفاً

مثلهم ...

لذلك جميل من الكنيسة إنها في صلاة نصف الليل ، يتضرع
الأب الكاهن من أجل « العاجزين والمنطرحين ، والذين ليس لهم
أحد يذكّرهم » .

ينصرك إله ذلك الإنسان المريض ، المطروح إلى جوار البركة
٣٨ سنة ، وليس له إنسان يلقيه في البركة ، فأقى الرب بنفسه وشفاه
وأقامه ...

ينصرك إله يعقوب الهادى الطيب ، الذى لا يحمل سيفاً للدفاع
عن نفسه ، إنما يقف و ينتظر خلاص الرب « الرب يقاتل عنكم وأنتم
تصمتون » (خر ١٤ : ١٤) . ولعله من أجل وداعة يعقوب ، أن الله
أحبه ، حتى قبل أن يولد (رو ٩ : ١١-١٣) . أحبه ضمن « الذين
سبق فعرفهم » (رو ٨ : ٢٩) .

وهكذا « اختار الله ضعفاء العالم ، ليخزى بهم الأقوياء » .

واستطاع أن ينصر هؤلاء الضعفاء ، ليس فقط كما نصر يعقوب ،
وإنما أيضاً كما نصر الرسل الصيادين المساكين ، الذين كانوا خائفين
ومختبئين في العلية ، وأعطاهم قوة لينشروا كلمة الإيمان التى قاومتها
السلطة الرومانية ، والمدارس الفلسفية ، ودسائس اليهود .

صارع هذا الإله المحب ، كما صارعه أبونا يعقوب . تمسك به ،
ونخذ منه بركة ونعمة ، كما أخذ أيضاً أبونا يعقوب . ونخذ منه أيضاً
وعوداً إلهية ... وحينئذ سترى كيف يستجيب لك الرب في يوم
شدتك ، وينصرك إسم إله يعقوب .

ينصرك في الشدة ، أى لا يترك الشدة تنفرد بك .

بل هو يكون معك أثناء الشدة . الله يدخل في الخط ، ولا يتركك
وحدك ، يجعل نفسه طرفاً في الموضوع . من يهاجمك كأنه يهاجم الله
نفسه . ولذلك قيل « في كل ضيقهم تضايق ، وملاك حضرته
خلصهم » (أ ٦٣ : ٩) . الذى يضطهدك كأنه يوجه هذا الإضطهاد
إلى الله . ولذلك قال الرب لشاول الطرسوسى « شاول شاول ، لماذا
تضطهدنى » (أع ٩ : ٤) ، معتبراً أن ما يوجه إلى أولاده ، هو موجه
إليه شخصياً ... كما قال لهم « من يقبلكم يقبلنى ، ومن يرذلكم
يرذلنى » (لو ١٠ : ١٦) . إن كانت آلامك هى شركة فى آلامه ، فإنه
ينظر إلى آلامك كأنها آلامه هو .

هذا الذى جاء ليحمل أوجاعنا ، وليس فقط خطايانا
(أش ٥٣ : ٤) ، لا يترك أبداً كل من هم فى تعب ، بل يقف
إلى جوارهم يسندهم :

بل هو يدعو كل من في ضيقة ، لكى يأتى إليه فيريحه . وقد قال
للـكـل « تعالوا إلـىّ يا جميع المتعبين والثـقـيـلـى الأحمال وأنا أريحكم » .
تمسك إذن بوعده الصادق وتعال إليه ليرحك ، فهو مريح التعبى ،
حتى الذين لم يأتوا إليه ، وإنما هو تحن لما رأى أتعابهم . أليس هو الذى
تحن ، لما رأى الناس « منطرحين ومنزعجين ، كغنم لا راعى لها »
(مت ٣٦ : ٩) .

إن الله لا يتخلى عن الناس فى شدائدهم ...
فلا يتركك إلى الشدة من الخارج ، وإلى الشعور بالتخلى فى
الداخل .

مجرد شعورك أن الله ليس معك فى الشدة ، هو شدة أعمق من كل
ما يضايقك . لذلك فإن الله يقيم توازناً ، بين الشدة التى فى الخارج ،
والسلام الذى يعطيك إياه بمعونته أو بوعوده . هو برحمته يفك شدتك ،
ولا ينضم أبداً إلى شدائدك ، ولا يأخذ منك موقفاً سلبياً ...

وسنضرب لذلك بعض أمثلة من الكتاب :

• المرأة الخاطئة التى ضبطت فى ذات الفعل . لا شك أنها فى
الخارج كانت تقاسى شدة رهيبة ، من الإدانة ، والفضيحة والتشهير ،
وقسوة الذين ساقوها إليه ، وتهديدهم إياها بحكم الموت وتنفيذ

الشریعة حرفیاً علیها ... ولكن الرب لم ینضم إلی هؤلاء القساة ، ولم یحکم بحکمهم . إنما أخرجل الذین یدینونها ، وأوقعهم فی نفس الدینونة ، وخلصها منهم ، فتركوها . ثم قال للمرأة « وأنا أيضاً لا أدینک . أذهبی بسلام » . فعل هذا وخلصها ، حتی دون أن تطلب .

إذن عبارة « یرستجیب لك الرب فی یوم شدتك » ، قد تحمل معنی یرستجیب لاحتیاجك ، وليس فقط یرستجیب لصلاتك ...

فالله یعلم أنك محتاج إلی المعونة ، فیکدمها إلیک ، سواء طلبت أو لم تطلب ، وهناك شذائد قادمة إلیک وأنت لا تعلم ، وبالتالي لا تطلب ، ولكن الله یرستجیب لیس للصلاة فقط ، وإنما یرستجیب للحالة کما یعرفها و یعرف أسلوب علاجها .

• أيضاً الخاطئة الباکية التي بللت قدمیه بدموعها فی بیت الفریسی . انتقدتها الفریسی وأدانها فی قلبه ، واعتبر مجرد لمسها لقدمی المسیح جرأة منها وخطیة . أما السید فدافع عنها ، وشرح للفریسی أن هذه المرأة فیها فضائل تفوق الفریسی ...

• یذکّرنا هذا المثال بقصة المرأة الشونمية ، التي لما مات ابنها ، أسرع إلی رجل الله ألیشع تستنجد به وقد أمسکت قدمیه ، فانتقدتها

تلميذه جيحزى وأراد أن يطردها ، فננعه أليشع النبي ، ودافع عن المرأة قائلاً « دعها ، لأن نفسها مرة » (٢ مل ٤ : ٢٧) . وتأنى على المرأة حتى سمع شكواها ، وسار معها لإحياء ابنها . فإن كان أليشع النبي ، بهذه الرقة وطيبة القلب ، فكم بالحرى الله نفسه !

إن أنسب الأوقات التى يكون فيها الله معك هى أوقات الشدة .

الوقت الذى تحتاج فيه إليه ، والذى تقول له فيه « ليس لنا معين فى شدائدنا وضيقاتنا سواك » . فى هذا الوقت تجد الله إلى جوارك ... إما أن يقويك وينجيك ، وإما أن يعزيك ، ويعطيك صبراً لتحتمل . ويكون فى صبرك انتصار ، كمقدمة للإنتصار الأخير فى الوقت الذى يراه الرب .

وينصرك ليس معناها أن يجعل مقاوميك تحت قدميك ، بل قد يجعلهم داخل قلبك ... ويوجد سلاماً بينك وبينهم ، أو يعطيك نعمة فى أعينهم ، أو يصرفهم عنك فى هدوء ... على الأقل لا يصيبك منهم أذى حقيقى ...

والطريقة التى ينصرك بها الله تختلف فى نوعها ... قد يجعل أحد الملائكة ، أو روحاً من أرواح القديسين تتدخل فى

موضوعك ، ويرسل القديس لإنقاذك سواء بطريقة مرئية أو غير مرئية . قد تحدث معجزة ، ويتدخل الله بطريقة تمجد إسمه . وقد تكون هذه النصره بطريقة تبدو طبيعية جداً ، ولكن تظهر يد الله فيها واضحة . وقد ينقذك من داخل نفسك ، بتغيير مجرى أفكارك ومشاعرك ، وبأن يجعل السلام يملأ قلبك ...

المهم أن ينصرك إسم إله يعقوب . وهنا نتأمل قوة إسم الله :

إسم الله يعقوب

إن إسم الله له قوته وهيبته وفعله ، لذلك يقول الحكيم :
إسم الرب برج حصين ، يركض إليه الصديق ويتمنع (أم ١٨: ١٠) .

إن ذكرت هذه الآية ، وجعلتها في ذهنك باستمرار ، لاشك أنها ستدفعك أن تجعل إسم الرب على لسانك في كل حين ، لكى تأخذ من قوته ، وتجعله معونتك في كل شدة وضيقة . ولهذا فإن المرتل في المزمور الثانى من صلاة الغروب (مز ١١٧) يقول « كل الأمم أحاطوا بى ... أحاطوا بى احتياطاً واكتنفونى ، وباسم الرب قهرتهم » .

حقاً إن إسم الرب قوى ، لدرجة أن الشياطين ترتعد منه . ومن

خوفها كانت تخرج من الناس . وقد رجع التلاميذ إلى الرب فرحين
وقالوا له :

« حتى الشياطين تخضع لنا باسمك » (لو ١٠ : ١٧) .

ومن قوة إسم الرب ، حتى على أفواه من لم يخلصوا ، قول بعض
من أولئك للرب في اليوم الأخير « أليس باسمك تنبأنا ، وباسمك
أخرجنا شياطين ، وباسمك صنعنا قوات كثيرة ؟ ! » (مت ٧ :
٢٢) . هنا تبدو قوة إسم الرب .

ولهذا نرى المرتل ، يقول في أول مزامير الساعة السادسة :

« اللهم باسمك خلصني » (مز ٥٣ : ١) .

إن إسم الرب فيه قوة للخلاص ، لأنه يطرد الشياطين .

وفي قصة الجارية عرافة فيلبى ، التى كان عليها روح عرافة ،
كيف طرده منها القديس بولس الرسول . يقول الكتاب إن بولس
« إلتفت إلى الروح وقال : أنا آمرك باسم يسوع المسيح أن تخرج
منها . فخرج فى تلك الساعة » (أع ١٦ : ١٨) .

وباسم الرب أيضاً ، كان القديسون يصنعون معجزات .

وهذا الأمر نراه بوضوح فى قصة شفاء الرجل الأعرج الذى كان
يستعطى عند باب الهيكل الذى يقال له الجميل . ولم يكن عند

القديس بطرس مال ليعطيه له ، فقال للأعرج « ليس لى فضة ولا ذهب . ولكن الذى لى فإياه أعطيك : باسم يسوع المسيح الناصرى قم وامش ... فوثب ووقف وصار يمشى » (أع ٣ : ٦ ، ٧) . وباسم الرب تمت المعجزة . وأمثالها كثير...

إذن إجعل إسم الرب على فمك باستمرار ، ليعطيك الرب قوة وعزاء .

إننا نتعب فى حياتنا ، إن بعدنا عن إسم الرب ، وبالتالى بعدنا عن الشعور بوجوده معنا وعمله لأجلنا ، لذلك يقول داود :
« محبوب هو إسمك يارب ، فهو طول النهار تلاقى » (مز ١١٩)
كان يتلو إسم الرب ، فيشعر بفرح ، ويشعر أن الرب معه ، وأن الرب يستجيب له فى يوم شدته ، وينصره . وكيف ذلك ؟ ... يقول المزمور :

يرسل لك عوناً من قدسه ، ومن صهيون يعضدك :

يرسل لك معونة ، يرسل لك من ينقذك ، لا يتركك وحدك .
ولذلك نحن نذكر هذا العون الإلهى ، فى أول صلاة الشكر ، إذ نقول
« فلنشكر صانع الخيرات الرحوم الله ... لأنه أعاننا » . إنه عون مستمر ، نذكره كل يوم وكل ساعة .

الله يرسل لك العون ، لأنه يعرف ضعفك ، ويعرف ظروفك .

يعرف مشاكلك ، ويعرف إحتياجاتك . إنه يتابع حروبك مع الشيطان ، وعلاقاتك مع الناس ، ومشاعر نفسك الداخلية . ويدرك تماماً الحال الذى أنت فيه ، من كل ناحية ، والتعقيدات التى تصادفك ، وقيام الأعداء الخفيين والظاهرين . إنه يسمع صلواتك ، ويسمع تنهداتك ، ويرى مرارة نفسك ...

مادام الله يعرف كل ما يحيط بك ، إذن إطمئن ...
لا بد أنه سيرسل لك الحل ، ويرسل لك المعونة ، كإله رحوم ، وكأب محب لأولاده ، ولأن هذا هو عمله كراع صالح يهتم برعيته .
ولكن البعض قد لا يتكل على الله ، ويلجأ إلى ذراعه البشرى للخروج من ضيقاته ، أو يلجأ إلى معونة البشر .

والمعونة البشرية ، ربما لا تخلو أحياناً من أخطاء ...
فى شدتك ، قد يأتىك عون من أهل العالم . يشفقون عليك ويريدون إراحتك من متاعبك ، أياً كانت الوسائل . ربما يحاول بعضهم أن يحل لك الإشكال بكذبة ، بحيلة ، بدهاء ، بذكاء بشرى ! يقول لك هذه العضلة يمكن حلها برشوة ، بكلمة تملق ، بشهادة

مرضية ... وما أكثر الحلول البشرية . ولكن لا تشعر في كل ذلك أنك
خرجت من شدتك بطريقة مقدسة .

أما الله فيرسل لك العون من قدسه ، بطريقة مقدسة .

طرق الله الإلهية ، كلها طهر وبركة ، بعكس حيل العالم التي
تتعيب الضمير . وما أكثر المشورات الخاطئة والنصائح الخاطئة ، التي
ربما تأتي بنتيجة سريعة ، ولكنها لا تتفق مع المشيئة البشرية .
وسند كر بعض الأمثلة :

آخاب الملك أتاه عون من إيزابل ، وكان سبباً في هلاكه .

لقد اشتهى آخاب أن يمتلك حقل نابوت اليزري . ولما رفض
نابوت أن يفرط في ميراث آبائه ، وقع آخاب في شدة داخل نفسه ،
من شهوته التي كان يجب أن يتحرر منها . ولما رأته زوجته إيزابل في
يوم شدته ، قدمت له العون بدهائها : يتهم نابوت اليزري
بالتجديف ، و يقيم عليه شهود زور ، و يدينه و يقتله ثم يرثه . و فعلاً
أنت هذه النصيحة بالنتيجة المطلوبة ، و ورث آخاب الحقل . ولكن
جاءه صوت الله يقول له : في المكان الذي لحست فيه الكلاب دم
نابوت اليزري ، تلحس دمك أنت أيضاً (١ مل ٢١ : ١٩) . نصيحة
إيزابل التي ظنتها عوناً لرجلها ، كانت سبباً في هلاكه ، لأن مصدرها
لم يكن هو الرب ، ولم تكن عوناً من قدسه .

وبنفس الوضع كانت النصيحة التي قدمها بلعام لبلاق ،
والمشورة التي كان أختوفل مزماً أن يقدمها لأبشالوم لإهلاك داود .

في شدتك ، ما أسهل أن يقدم لك الشيطان عوناً .
والمزمور يدعو لك ، أن يكون حل إشكالاتك على يد الله وحده ،
ومن قدسه ، وبطريقة طاهرة ، حتى لو تأخرت قليلاً .

فالشيطان ما أسهل عليه - إن رآك في شدة - أن يتطوع ليقدم لك
عوناً ، ويقترح لك حلولاً . مثلما رأى السيد المسيح جائعاً بعد صومه
الطويل على الجبل ، فتقدم الشيطان يقدم العون « قل أن تصير
الحجارة خبزاً » ... يمكن أن تكسب العالم بالخبز ، فيتبعوك . ويمكن أن
تنشر تعاليمك بالسلطة ، بتجربة الملك . ويمكن أن يكون ذلك
بالمفجزات المبهرات ، بأن تلقى نفسك من الجبل وتحملك الملائكة ،
ويرى الناس فيتبعونك ... وفي كل ذلك لا فداء ، ولا حل خطايا
الناس ... ورفض السيد المسيح هذا العون ، واعتبره تجربة من
الشيطان ، لأنه لا يتفق مع مشيئة الآب ، وليس هو من عنده ، ولا
من قدسه .

عوناً من قدسه ، تشعر بأن يد الله فيه ، وربما يأتي بطريقة لم
تكن تنتظرها على الإطلاق .

بل تشعر أن الله « من صهيون يعضدك » . وصهيون هي مدينة الملك العظيم ، مدينة داود ، رمز لملك الله ، ورمز للبركة . فعبارة « من صهيون يعضدك » معناها من ملكه ، من ملكوته ، من قوته وبركته وبره . بطريقة تشعر أن يد الله قد تدخلت فيه ، وهي التي حلت الإشكال .

وسأضرب لكم مثلاً عملياً ، قصة حدثت منذ ١٥ سنة :

أحد الآباء المطارنة لم تكن له دار للمطرانية ، وكان يسكن في حجرتين ملحقتين بالكنيسة . وطبيعى كان يلزمه جداً ، ويلزم الخدمة ، بناء مطرانية . فكافح حتى حصل على مال إشتري به بيتاً لبناء مطرانية . ولكن البيت كان يشغله سكان ، وليس من السهل إطلاقاً إخراجهم من مسكنهم . وكذلك لم يكن عنده شىء من المال يكفى لكى يهدم البيت و يعيد بناءه حسب الغرض المطلوب . وكيف يحصل على قرار الهدم ، والبيت ليس قديماً ولا آيلاً للسقوط ؟ ومن أين أيضاً قرار البناء ؟ ولم يجد نياقة المطران سوى أن يصلى و يترك الأمر لله ، لأنه لم يستطع أن يعمل شيئاً .

وبدأت يد الله تعمل . كان البيت يطل على الشارع المواجه لشريط السكة الحديد ، وقد رأت المحافظة أن توسع هذا الشارع

وتجمله ، لأنه فى مدخل البلد . وتوسيع الشارع كان معناه هدم جزء من البيت الذى اشتراه المطران ، وبالتالى إخراج السكان المقيمين فيه . وهكذا حلت مشكلة السكان ومشكلة الهدم . وبتوسيع الشارع واستيلاء البلدية على جزء من أرض المطرانية ، حصل نيافة المطران على تعويض مالى يساعده على البناء . ولأن المحافظة أرادت أن يتم توسيع الشارع وتجمله بسرعة ، قدمت كل ما يلزم للملاك من تراخيص البناء ، وتراخيص شراء مواد البناء ، بل وتقديم سلفيات لهم أيضاً . وحلت مشكلة المال ...

وبنيت المطرانية ، وزالت كل العقبات ، وبدأ أن يد الله قد تدخلت بطريقة ما كان المطران يفكر فيها . وفى شهور قليلة كان يجلس فى مطرانيته الجديدة ، دون أن يتكلف شيئاً . حقاً : يرسل لك عوناً من قدسه ، ومن صهيون يعضدك .

عندما يبدأ الله أن يحل المشكلة ، تحل البركة .

وتجد أن « جميع الأشياء تعمل معاً للخير ، للذين يحبون الرب » (روم : ٨ : ٢٨) . بل إن الله قادر أن « يخرج من الجافى حلاوة » ، وحتى المشاكل يحولها إلى حلول ياليت هذه الآية « يرسل لك عوناً من قدسه ، ومن صهيون يعضدك » تتخذها مجالاً للتأملات الروحية ، من

جهة خبرات الإنسان الشخصية ، وما يعرفه من قصص أحبائه وأصدقائه ومعارفه ، وما قرأه من قصص القديسين وفي تاريخ الكنيسة .

وليتكم ترسلون لى هذه المعلومات ، فى م ظروف خاص بموضوع « يرسل لك عوناً من قدسه » ، وكل من يعرف قصة واقعية ، يرسلها بتفاصيلها . وهذا الوضع نستطيع أن نصدر بها كتاباً خاصاً ، موضوعه « يرسل لك عوناً من قدسه » .

إننى أعرف الكثير فى هذا المجال ، ولكنى أرى أن الوقت قد طال بنا فى تأمل آيتين فقط من هذا المزمور ، ولست أدري متى أو كيف سننتهى ، لذلك أستسمحكم فى أن أعبر بسرعة إلى باقى النقاط ...

فى أحيان كثيرة ، يجد الإنسان جميع الأبواب مغلقة ما عدا واحداً مفتوحاً ... و يبدو أن يد الله قد فتحت ، يد الله « الذى يفتح ولا أحد يغلق » (رؤى ٣: ٧) . وكون الله يفتح هذا الباب ، ليس معنى ذلك أنه يرسل لهذا الغرض ملاكاً أو أحد القديسين ... كلا ، بل أنه قد يستخدم فى هذا أى شخص عادى . المهم أن إرادة الله تتم ، ومعونة الله تأتى ، وتشعر أن يد الله تعمل معك ، وأن الله يرسل لك عوناً من قدسه ، من سمائه ، من عرشه ...

أهل العالم لم يتعودوا أن ينسبوا إلى الله المعونات التي تأتي إليهم أو إلى غيرهم ! بل ينسبونها إلى أمور طبيعية . أما عبارة يد الله ، فلا يفهمونها ولا يستعملونها . أما أنت الذى تحيا فى الإيمان ، وتوقن أن الله يدبر حياتك ، فإن المعونات التي تأتيك ، تنسبها إلى الله ، وبخاصة هذه المتعلقة بالباب الواحد المفتوح ...

مشكلة تكون مرتبكاً بسببها ، وقد عملت لها ألف حساب . ثم تجد أنها قد حلت بطريقة لم تخطر لك على بال ، فتشعر بيد الله ، وتشعر أن الله يستجيب لك فى يوم شدتك ... يرسل لك عوناً من قدسه ، ومن صهيون يعضدك . وماذا أيضاً ؟

بد كر جميع دبانحك ، وبستسمن محرقاتك

أى أن كل الذبائح والمحرقات التي تكون قد قدمتها لله من قبل ، يذكرها لك الله فى يوم شدتك .

الله الذى لا ينسى كأس الماء البارد ، ولا ينسى أبداً فلسى الأرملة ، ولا حفنة الدقيق التي قدمتها أرملة صرفة صيدا لإيليا .

الله الذى كل عمل خير نعمله ، محفوظ عنده ، مكتوب فى سفر الحياة ، كتب الله عنه سفر تذكرة (مل ٣ : ١٦) . لا تظن أنه ينسى أى تعب تتعبه من أجله ، أو من أجل كنيسة وقديسيه ، أو من أجل أى فقير ومحتاج . إنه يقول لك « بى قد فعلته » (مت ٢٥) . إنه يذكر جميع ذبائحك . و يقول لك « أنا عارف أعمالك وتعبك وصبرك ... وقد تعبت من أجلى ولم تكل » (رؤ ٢ : ٢ ، ٣) .

الله ليس بظالم حتى ينسى تعب المحبة ١ (عب ٦ : ١٠) .

كل تعب المحبة الذى تتعبه أمام الرب ، هو ذبيحة حب ، ليست منسية أمامه . إن الله لا ينسى دمعة واحدة تكون قد سكبتها أمامه ، بل يحفظها فى زق عنده (مز ١١٩) .

لا ينسى خطوة واحدة ، تكون قد خطوتها نحو الكنيسة ، أو فى زيارة افتقاد ، أو لحل إشكال . لا ينسى إبتسامة تكون قد ابتسمتها فى وجه إنسان مكتئب ، أو كلمة عزاء قلتها لتعزية حزين .

كل الخير الذى تفعله ، مخزون عنده ، ومحفوظ ومكنوز .

يذكره كله لك فى يوم شدتك . كل حب وحنان تقدمه للناس ، هو محفوظ أمام الله ، فى يوم شدتك يأتى مواعده ليتحرك ، ويعمل لأجلك . الله لا يمكن أن ينسى تعبك وحبك وخدمتك وماضيك

ومعوناتك للآخرين . ألم يقل الكتاب « إن أعمالهم تتبعهم » . إذن أعمالك الطيبة ستتبعك .

ليس فقط وقت الموت « أعمالهم تتبعهم » ، بل أيضاً وقت الشدة . كل عمل طيب قد عملته ، سيشفع فيك في يوم شدتك .

ألم يقل الله « طوبى للرحماء ، لأنهم يرحمون » (مت ٥) ... إذن الرحمة التي تكون قد قدمتها في الماضي ، ستشفع فيك يوم تحتاج إلى الرحمة . وإن كنت في ضيقة الآخرين قد ساهمت في حل ضيقهم ، يذكر لك الله هذا في يوم ضيقك ، ويرسل لك عوناً من قدسه ، ويذكر جميع ذبائحك .

مسكين الإنسان الذي لم يقدم خيراً لأحد في حياته . ومسكين أكثر من يكون قد عامل غيره بالقسوة والعنف . هذا يجد أمامه الآية التي تقول « بالكيل الذي به تكيلون يكال لكم ويزاد » . كذلك الشخص الذي يقف موقفاً سلبياً من آلام الآخرين ، كأنه غير مسئول ، أو أن الأمر لا يعنيه ! هذا يقف أمامه قول الوحي الإلهي في سفر الأمثال (أم ٢١ : ١٣) :

« من يسد أذنيه عن صراخ المسكين ، فهو أيضاً يصرخ ولا يستجاب له » .

إن كان الأمر هكذا ، فلنكثر من عمل الخير والرحمة ، ونوزعها على كل محتاج ، لكى تقف أمام الله تشفع فينا فى يوم الشدة ، عالمين أنه لا يوجد عمل خير يضيع أجره ، لا فى السماء ولا على الأرض .

« إذن يا إخوتى الأحباء ، كونوا راسخين غير متزعزعين ، مكثرين فى عمل الرب كل حين ، عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب » (١ كور ١٥ : ٥٨) .

إياك أن تصدق المثل العامى الذى يقول « القرش الأبيض ينفع فى اليوم الأسود » ! كلا ، فلن ينفعك سوى مراحم الله الذى يذكر جميع ذبائحك . فأين هى ذبائحك ومحرقاتك ، ليذكرها لك الله فى ذلك اليوم ؟ إن لم تكن قد بدأت فى عمل الخير ، فابدأ من الآن ...

والله سيد ذبائحك ، ليس فقط فى وقت شدتك ، إنما سيدكرها أيضاً بالنسبة إلى أولادك وأهلك وأحبائك .

مثلاً فعل مع سليمان ، من أجل داود أبيه . فقال : لا أمزق المملكة فى أيامك من أجل داود أبيك (١ مل ١١ : ١٢) . وأعطاه أيضاً سبطاً من أجل داود ... إن الخير الذى فعله داود فى حياته ، والرحمة التى رحم بها بيت شاول ، كل ذلك ذكره الله ، ورحم به سليمان بن داود ...

ولذلك نسمع أحياناً من يقول : هذا الولد ، حافظ الرب عليه ،
من أجل الخير الذى كان يعمله أبوه ... من أجل ذبائح الآباء ، كان
الله يرحم أبناءهم .

إن الله يذكر ذبائح آبائنا القديسين ، ويرحمنا من أجلهم .
وهكذا نقول لله فى صلواتنا « لا تنزع عنا رحمتك من أجل ابراهيم
حبيبك ، وإسحق عبدك ، وإسرائيل قديسك » (قطع الساعة
التاسعة) .

ما أكثر قول الله فى الكتاب « من أجل ابراهيم عبدى » ، « من
أجل داود عبدى » ... إن ما فعله ابراهيم وداود ، إستمر تأثيره عبر
الأجيال ...

لقد عشنا فى العالم بخير ، من أجل ابراهيم واسحق ويعقوب .
الرب ذكر ذبائحهم ومحرقاتهم ، وحافظ علينا من أجلهم . إنه لم ينس
تعب آبائنا القديسين ، ومازال يحافظ علينا من أجل الآباء . كذلك
ما تقدمه أنت من ذبائح ومحرقات ، يستمر تأثيره أجيالاً . ويذكر
الرب جميع ذبائحك ومحرقاتك ، لك ولأولادك وأولادهم ...

ولكن ما الفرق بين الذبائح والمحرقات ؟
الذبيحة ، هى كل ما كان يذبح للرب . والمحرقه أيضاً ذبيحة .

ولكن ما الفرق؟ الفرق هو أن بعض الذبائح كان يأكل منها الكاهن ، أو مقدمها . والبعض كان يأكل منها أصدقاء مقدمها أيضاً (مثل ذبيحة السلامة) . فذبيحة الخطية مثلاً ، ينال منها مقدمها غفراناً (حسب الرمز) . وذبيحة السلامة علامة فرح يعم على الجميع .

أما المحرقة ، فكانت لإرضاء الرب ، رائحة سرور للرب (لا ١) ، لذلك كانت للمذبح وحده ، ولنار الرب وحدها . لا يتناول منها أحد . تظل تأكل فيها النار حتى تصير رماداً ، إشارة إلى أن عدل الله قد استوفى حقوقه من الخطية .

خطية الإنسان كانت لها نتيجتان : إغضب قلب الله الذى كسرنا وصاياه ، وهلاك الإنسان الذى أخطأ . والمحرقة كانت ترمز إلى إرضاء الله ، وذبيحة الخطية كانت ترمز إلى تخلص الإنسان من خطاياهم . والسيد المسيح قام بالدورين معاً على الصليب .

وهنا فى عبارة المزمور ، ماذا نفهم ؟
محرقاتك هى كل ما تفعله لإرضاء قلب الله وحده .
وذبائحك هى كل خير تعمله لأجل الآخرين ولأجل خلاص نفسك .

كل ذلك يذكره لك الله في يوم شدتك . يذكر الكل ...
يذكر ما تقدمه من عشور وبكور ونذور وستور ، وكتب القراءة
والزيت وأواني المذبح . وما تقدمه من مال أو ذبائح كما في النذورات
وأعياد القديسين . ويذكر كل عمل برتعمله بالآخرين .

وأيضاً يذكر الذبائح الروحية ...

كما يقول المرتل في المزمور « فلتستقم صلاتي كالبخور قدامك .
وليكن رفع يدي ذبيحة مسائية » (مز ١٤٠) . ومن الجائز أن تكون
ذبائحك ومحرقاتك هي نفسك بالذات ، كما يقول الرسول « أطلب
إليكم أيها الإخوة ... أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة ، مرضية
عند الله عبادتكم العقلية » (روم ١٢ : ١) .
وفي الذبائح الروحية يقول الكتاب « الذبيحة لله روح
منسحق » (مز ٥٠) .

يذكر الله جميع ذبائحك ، روحية أو مادية ، أوبالنية .

فكما يذكر صلواتك (من الذبائح الروحية) ، وعشورك ونذورك
(من الذبائح المادية) ، يذكر أيضاً حتى مجرد نيتك المقدسة ورغبتك
في العطاء . ولهذا يصلي الكاهن في أوشية القرايين من أجل أن يذكر
الله « أصحاب القليل ، وأصحاب الكثير ، الخفيات والظاهرات »

وماذا أيضاً؟ يقول للرب « والذين يريدون أن يقدموا لك ، وليس لهم » ...

أما أنت ، فحينما تصل إلى هذه العبارة من المزمور :
فلتنسحق نفسك ، وقل : أين هي يارب ذبائحي ومحرقاتي ؟
أنا لم أقدم لك شيئاً حتى الآن ... أبونا إبراهيم قدم ابنه الوحيد ،
والأرملة قدمت من أعوازها . وأنا ماذا قدمت ؟ لا شيء ...
حذار من أن تذكر شيئاً ، كما فعل الفريسي ، لئلا يختطفه منك
شيطان المجد الباطل . بل إن ورد على ذهنك شيء قدمته ، قل للرب :
وهذا ليس من عندي ، إنما « من يدك أعطيناك » والكل لله ، منك
وإليك ...

هنا ونذكر عبارة جميلة في المزمور لها عمقها ، وهي :

وَيَسْتَسْمِنُ مُحْرَقَاتِكَ

أى يعتبرها سمينه ، ينظر إليها فوق ما تستحق .
مهما كان ما تقدمه ضئيلاً في نظرك ، أو في نظر الآخرين ، فإن
الله يستسمنه ، يقبله كأفضل ما يمكن أن يقدم ، كما فعل بالنسبة إلى
فلسى الأرملة ، ودموع المرأة الخاطئة التي بللت قدميه ، والعبارة

المنسحقة التي قالتها المرأة الكنعانية . فمدح الرب كل هؤلاء أمام
الجميع ، واستسمن محرقاتهم ...

ما أكثر تقدير الرب لأعمال أولاده ، إذ يكبرها ، و يكبرهم
بسببها ، هذا الذي يذكر حتى كأس الماء البارد ، الذي لا تعب فيه .
وكما يقول المثل العامي « بصلة المحب خروف » . هكذا يفعل الله في
معاملته لنا ...

الله لا ينسى فقط عمل الخير الذي نعمله ، وإنما أيضاً يمتدحه
و يكبره و يعطيه قيمة . ما أعمق محبة الرب وحنوه .

تأكد أنه في اليوم الأخير ، سيكون الله هو أكثر من يدافع عن
أعمالك الطيبة ، و يقدرها و يكبرها ...

إذن ، لا تفتخر باطلاً . ولا تذكر أعمالك الحسنة قدامه أو قدام
الناس . بل انسها لكي يذكرها لك الله . إن الله سيذكر لك في يوم
شدتك وفي اليوم الأخير كل ما تنساه من أعمال خير قمت بها .

إن الله يستسمن ما قدمته له الكنيسة من أمثلة بشرية :

✱ أنظروا يونان مثلاً :

إعتبره الله نبياً عظيماً ، وجعل سفره من الكتاب المقدس

باسمه ... مع أن يونان خالف الرب ، وهرب إلى ترشيش ، وأصابته السفينة أهوال بسببه . وحزن حتى الموت لما خلاص أهل نينوى بمناداته ، لأن كلمته عن انقلاب المدينة بعد أربعين يوماً قد سقطت إلى الأرض ولم تنفذ . وقال « موتى خير من حياتى » وعاتبه الرب قائلاً « هل اغتظت بالصواب ؟! » (يون ١ : ٤-٤) .

ولكن الرب مع ذلك ، امتدح هذا الكارز العظيم ، وقال إن نينوى « قد تابت بمناداة يونان » . واستسمن الرب مناداة يونان ، التى قام بها بعد معصية وهروب ، ولم يذكر له المعصية والهروب . ولما كان فى بطن الحوت ، صلى فاستجاب له ...

وأيوب الصديق :

كم استسمن الرب هذه المحرقة ، وقال عنه مرتين إنه « ليس مثله فى الأرض . رجل كامل ومستقيم » (أى ١ : ٨ ، ٢ : ٣) .

ومع أن أيوب لعن يومه (أى ٣) . وعاتب الرب عتاباً شديداً جداً ، لدرجة أنه قال له « فهمنى لماذا تخاصمنى ؟ أحسن عندك أن تظلم ؟! ... فى علمك أنى لست مذنباً ، ولا منقذ من يدك ... كف عنى ، فأتبلج قليلاً » (أى ١٠ : ٢ ، ٣ ، ٧ ، ٢٠) . وقال « يكثر جروحي بلا سبب ... وإن كنت كاملاً يستذنبنى » (أى ٩ : ١٧ ، ٢٠) .

ومع ذلك فإن الله لم يتخل عن مدحه لأيوب ، لدرجة أنه بعد هذا العتاب كله وما هو أشد منه ، قال لأصحاب أيوب الثلاثة « لم تقولوا فتي الصواب كعبدى أيوب . والآن فخذوا لأنفسكم سبعة ثيران وسبعة كباش ، واذهبوا إلى عبدى أيوب ، اصعدوا محرقة لأجل أنفسكم ، وعبدى أيوب يصلى من أجلكم ، لأنى أرفع وجهه . لثلاث صنع معكم حسب حماقتكم ، لأنكم لم تقولوا فتي الصواب كعبدى أيوب » (أى ٤٢ : ٧-٨) .

*** يعقوب أبو الآباء :**

على الرغم من أنه خدع أباه اسحق ، وعلى الرغم من أنه رفض أن يعطى طعاماً لأخيه وهو جائع إلا إذا باعه بكوريته ، وعلى الرغم من خوفه ... إلا أن الرب كان يستسمن هذه المحرقة . وظهر ليعقوب أكثر من مرة ، وباركه ، ونصره ، ومنحه الوعود ، وجاء من نسله ...

إن كان الله هكذا يوقر القديسين ، فيجب أن نوقرهم نحن أيضاً .
ولا يجوز لنا أن نحتقر محرقات غيرنا ، والله يستسمنها ...

ليتنا نحترم كل عمل طيب ، يقوم به أى إنسان ، ونمتدحه ونشجعه ، مهما كان هذا العمل يبدو ضئيلاً . فهذه هى طريقة الله ، الذى يستسمن المحرقات ...

كان القديس الأنبا بيشوى يطوى الأيام صوماً . وفى إحدى
المرات طوى واحداً وعشرين يوماً . ورأى شاباً مبتدئاً فى الرهبنة قد
طوى يوماً واحداً فقط ، ومع ذلك لم يحتمل ، وكان يسير ورجلاه
ترتعثان . فسأل الله عنه فقال الرب « إن أجره مثلك تماماً . لأنه لو
كان قد نال نفس النعمة التى نلتها أنت ، لاستطاع أن يصوم مثلك
٢١ يوماً » ... وهكذا استسمن الرب محرقة هذا الشاب المبتدىء ،
واعتبرها تماثل محركات القديس العظيم الأنبا بيشوى .

ما أعجبه من إله طيب ... يذكر جميع ذبائحك و يستسمن
محركاتك . وماذا أيضاً ؟

يعطيك الرب حسب قلبك ، ويتمم كل مشورتك ...

حسب كل ما فى قلبك وما فى فكرك ، يعطيك الرب ! هذا أعظم
ما يطلبه الإنسان ، وأقوى مما يتوقعه . ولكن هل هذا الأمر على
الإطلاق ، أم له شروط ؟ أنظر :

**يعطيك الرب حسب قلبك ، بشرط أن يكون قلبك مع الله ،
نقياً .**

فن غير المعقول ، أن يكون قلبك مملوءاً من الشهوات الخاطئة
والمشاعر الرديئة ، ثم يعطيك الرب حسب قلبك !! ومن غير المعقول
أيضاً ، أن يتمم الله كل مشورتك ، إن كانت مشورتك خاطئة ولا

توافق مشيئة الله ولا حسن تدبيره !!

إن الله يعطيك حسب قلبك ، إن كنت تطلب ملكوت الله وبره .
أما إن كان قلبك متعلقاً بالعالميات والماديات أو بالخطية ، فإن البركة
التي يقولها هنا هذا المزمور تكون بعيدة عنك ، ولا يعطيك الله حسب
قلبك ...

إذن فليكن قلبك طاهراً ، وحينئذ يعطيك الرب حسب قلبك .
ولتكن هذه العبارة في المزمور دعوة لك إلى نقاوة القلب .

وفي طلباتك الطاهرة ، تمسك بهذه الآية كوعد من وعود الله ،
وحاججه بها . قل له : أعطني يا رب حسب قلبي ، فهكذا وعدت ،
مادام قلبي يحبك ، وتتم لي ما في ذهني من مشورات مادامت توافق
مشيئتك ، وإلا يا رب فلتكن مشيئتك .

على أية الحالات ، إنها عبارة معزية ، حينما يقول الروح لمن
يصلي وهو في شدة : يعطيك الرب حسب قلبك ، ويتم كل
مشورتك .

هذه العبارة سمعتها أم صموئيل ، وهي بعد عاقر ، حينما
كانت تصلي وهي باكية وصائمة ومرة النفس . فقال لها على الكاهن
« إذهبي بسلام . وإله اسرائيل يعطيك سؤلئك الذي سألته من لدنه »

(١ صم ١ : ١٧) فخرجت متعزية ، وآمنت بالكلمة ، وتركت
حزنها ، وفضت صومها ، وأكلت .

إنها كلمة عزاء ، ما أجمل أن تقولها لكل من هوفى شدة . وما
أجمل أن يصلّيها الأب الكاهن على رأس من يأتيه طالباً مراحم الله .
ثم يقولها له ، لكي يسمعها بفمه و يتعزى ...
إنها عبارة معزية . ولكن لكي يكون العزاء حقيقياً ، إسمع
النصيحة :

إلى جوار عبارة « يعطيك الرب حسب قلبك » ضع قول
الكتاب :

« تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك » (تث
٦ : ٥) .

فإن كنت تحب الله من كل قلبك ، وتحب طريقه ، وتحب
وصاياه ، حينئذ سيعطيك الله حسب قلبك ، وسيكون الله ساكناً في
قلبك .

أما إن كان قلبك بعيداً عن الرب ، وإن كنت تطلب طلباً
خاطئاً ، أو ليس حسب مشيئة الرب ، فإن ملائكة تصلى من أجلك ،
لكي ينير الله بصيرتك ، ويفهمك طريقه . وكما يقول الحكيم « توجد

طريق تبدو للإنسان مستقيمة ، وعاقبتها طرق الموت » (أم ١٤ :
١٢) . حقاً إن المزمور يطلب من أجلك أن « يتمم الله كل
مشورتك » . ولكن إلى جواره نضع قول الكتاب « في قلب الإنسان
أفكار كثيرة . لكن مشورة الرب هي تثبت » (أم ١٩ : ٢١) .

إن عبارة « يعطيك الرب حسب قلبك » تذكرنا بقول السيد
المسيح لتلاميذه القديسين « إن ثبتم فتي ، وثبت كلامي فيكم ،
تطلبون ما تريدون فيكون لكم » (يوحنا ١٥ : ٧) .

إذن هذا الثبات في الرب وفي وصاياه ، شرط للاستجابة .
فالإنسان وهو ثابت في الرب ، لا يطلب إلا ما يرضى الرب « ... إنها
دعوة إذن أن ننقى قلوبنا قبل الصلاة ، لكيلا نطلب إلا ما يرضى
الله ، فيعطينا الرب حسب قلوبنا .

إنها وعد من الله ، ويلزمها أيضاً إيمان في قلوبنا .

وكما يقول الكتاب « كل شيء مستطاع للمؤمن » (مزمور ٢٣ : ٩)

بهذا الإيمان نصلي ، وبه نستفيد من الدعاء الذي في المزمور .
إنها كلمات معزية ، كان لها مفعولها في قلب داود المؤمن ،

فقال :

نعترف لك يارب بخلاصك ، وباسم إلهنا نسا

نعترف لك ، معناها نشكرك ، أى نعترف بجميلك وحنوك وعملك الطيب معنا .

داود سمع وعود الرب ، وآمن بها ، وبدأ يشكره عليها .
يشكر الرب على ما سوف يفعله ، كأنه قد فعله ...

نعترف لك يارب بخلاصك . مادمت قلت أنك سترسل عوناً من قدسك ، ومن صهيون تعضدنا ، إذن يحسن بى أن أغنى بهذا الخلاص وأشكرك عليه ، وأقول « باركى يا نفسى الرب ، ولا تنسى جميع إحساناته » (مز ١٠٣ : ٢) .

جميل فى داود ، إنه فى عمق إيمانه بالاستجابة وتأكده منها ،
يحول الصلاة إلى شكر ، كأن كل شىء قد تم ...

إنه يطلب ، وفى إيمان يشعر أن الله قد أعطاه ما قد طلبه ، فيشكره
فى نفس صلاة الطلب . وكثير من مزامير داود من هذا النوع ...

فى المزمور السادس مثلاً ، يبدأ بقوله « يارب لا تبكتنى
بغضبك ... إرحمنى يارب فإنى ضعيف ... عد ونج نفسى ، واحينى من
أجل رحمتك » . ثم ما يلبث أن يشعر باستجابة صلاته ، فيقول فى

نهاية المزمور «إبعدوا عني يا جميع فاعلى الإثم . لأن الرب قد سمع صوت بكائى . الرب سمع تضرعى . الرب لصلاقتى قبل ...» .

إنه من نوع أبينا يعقوب الذى يمسك بالرب ، ولا يتركه حتى يباركه و يعطيه ما يطلب . وحينما يطمئن قلبه ، يقول له « نعترف لك يارب بخلاصك » ...

نعترف يارب أنك خلصتنا ، وأرحت قلوبنا ، وطيبت خاطرنا ، وأنقذتنا من مشاكلكنا . وهنا نرى أن داود لم يكتف بالشكر على الخلاص ، إنما اتسع فى آماله فقال :

وَبِاسْمِ إلهنا

كان يطلب مجرد الخلاص . أما وقد شعر بالإيمان أنه قد نال هذا الخلاص ، فقد انتقل إلى ما هو أبعد ... إلى النمو والإزدياد . فقال : وباسم إلهنا ننمو .

من أسباب اطمئنان داود ، أن إسم الله على شفتيه باستمرار .

فى أول المزمور يعزى نفسه بقوله « ينصرك إسم إله يعقوب » . وهنا يقول « باسم إلهنا ننمو » . ثم يقول بعد ذلك « هؤلاء مراكبات ، وهؤلاء بخيل . ونحن باسم الرب إلهنا ننمو » . حقاً إن إسم الرب ، يشعر الإنسان بأن قوة إلى جواره ، تحميه وتنقذه ، فيطمئن ... و يثق أنه

ليس فقط من الناحية السلبية يخلص من متاعبه . وإنما من الناحية الإيجابية أيضاً سينمو . و يكرر عبارة (النمو) مرتين فى نفس المزمور...

ليتك فى صلاتك تذكر هذا النمو ، وتحاسب نفسك عليه .

ليس المطلوب منك أن تحيا فقط فى حياة الفضيلة ، إنما أن تنمو فيها أيضاً . تنمو فى ثمار الروح . تنمو فى محبتك لله والناس . وكلما تنمو فى القداسة ، تنمو أيضاً فى الإلتضاع . وتقول « لست أحسب أنى أدركت أو نلت شيئاً ... لكننى أسعى لعلى أدرك » (فى ١٢ : ٣) .

وإن لم يكن لك هذا النمو ، بكت نفسك على هذا ، وجاهد بكل قوتك ، وبكل عمل النعمة فىك أن « تمتد إلى ما هو قدام » حسب قول الرسول (فى ١٣ : ٣) .

وإن لم تستطع أن تنمو ، فعلى الأقل قف حيث أنت ، واحتفظ بما عندك ، وحاذر أن ترجع إلى الوراء ، وتترك محبتك الأولى ...

إن داود الذى قال « باسم إلهنا ننمو » ، كان يعرف تماماً أن هذا النمو يحتاج هو أيضاً إلى معونة إلهية ، فقال :

يكمل الرب كل سؤالك

إنه الآن ينتقل من الماضى والحاضر ، و يدخل فى تطلعات المستقبل وآماله بالنسبة إلى المستقبل قد وضعها فى يد الله ...

الله الذى أعطى ، سيعطى الكل . كما أعطاه جزءاً من سؤال قلبه ، ووعدته بالخلاص ، سيكمل له الباقي ، فينال كل ما سأل الله فيه . وهنا يبدو فيض العطية وكماها .

أحياناً يعطينا الله كل ما نطلبه دفعة واحدة ، حسب وفرة غناه وكرمه ومحبه . وأحياناً يعطينا جزءاً جزءاً ، لكى نستمر فى الالتصاق به ، ونستمر فى الطلبة . وكلما ينال القلب شيئاً من الله ، نقول له « يكمل الرب كل سؤالك » .

قد تطلب من الله التوبة ، ويعطيك إياها . ولكن الملائكة تصلى من أجلك « يكمل الرب كل سؤالك » ، فليست التوبة كل شيء ... هناك النقاوة والقداسة . وفى القداسة تسمع أيضاً نفس الطلبة « يكمل الرب ... » لأن الطريق مايزال طويلاً أمامك ، فأنت مطالب بالكمال « كونوا كاملين ، كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل » . والكمال ليس له حدود . لذلك تستمر فى السؤال ، و يكمل الرب كل سؤالك .

وداود لم يطلب الخلاص فقط ، وإنما طلب النمو أيضاً ، النمو الموصل إلى الكمال . وقال لقلبه عن هذه الطلبة ، أو قال له قلبه « يكمل الرب كل سؤالك » .

وفي غمرة الفرح بوعود الرب ، قال :

الآن علمت أن الرب قد خلص مسيحه

واستجاب له من سماء قدسه

« الآن علمت » : الآن ، أثناء الصلاة ، وهو ما زال واقفاً

يطلب ...

عرف وهو واقف يصلي ، أن الرب قد خلصه ، خلص مسيحه ،
وأنه استجاب له . لذلك اعترف لله بخلاصه .

ولعلنا نسأل : كيف علم داود بهذه الإستجابة ؟ لعله أحسها في
قلبه . لعله عرفها بإيمانه . أو أن الله الذي استجاب ، أشعره بهذه
الإستجابة . أوحى له بها ، أفهمه إياها ... أو أن داود كانت له
« الحواس المدربة » التي يرى بها ما لا يرى ، أو الإيمان الذي هو
« الإيقان بأمور لا ترى » (عب ١١ : ١) .

وهذا يشعنا أن الصلاة ليست مجرد كلام ، بل سماع
أيضاً .

أنت تكلم الله في صلاتك . ثم بقلبك ، وليس بأذنيك ، تسمع
صوته مجيئاً . وقد كان قديسنا داود متدرباً على هذا السماع . لذلك

يقول في أحد مزاميره « إني أسمع ما يتكلم به الرب الإله ، لأنه يتكلم بالسلام لشعبه » (مز ٨٤) .

ولعل هذا السماع ، يحتاج إلى طول أناة في الصلاة ... وللأسف فإن البعض قد يكلم الرب في صلاته ، ثم ينصرف بسرعة قبل أن يسمع ما يتكلم به الرب الإله ... وقد يتكلم الرب . ولكن ليس كل أحد له أذن للسمع ، لیسمع ...

الآن علمت أن الرب قد خلص مسيحه .

وكلمة مسيح ، لها ثلاثة معانٍ :

١ - مسيح الرب ، أى الذى مسح لخدمة الرب ، كبعض الملوك مثلاً . وداود كان مسيحاً للرب ، مسحه صموئيل النبی بالدهن المقدس (١ صم ١٦) .

٢ - المسيح ، وهو السيد المسيح . والألف واللام يميزانه عن باقى المسحاء . وقد قال عنه الوحي فى سفر أشعيا « روح السيد الرب على ، لأنه مسحى لأبشر المساكين ، لأعصب منكسرى القلوب ... » (أش ٦١ : ١) . وقد مسح السيد المسيح ملكاً ونبياً وكاهناً . وقيل أنه مسح بزيت الإبتهاج أكثر من رفقاؤه (عب ١ : ٩) .

٣ - كل إنسان مسيحى ، قد مسح بزيت الميرون ، وصار مقدساً للرب ، ومسكناً لروحه القدوس . فهو من الناحية الروحية - وليس من الناحية اللفظية - ممسوحاً للرب . ويمكن أن تأخذ عبارة المزمور على نفسك « الرب خلص مسيحه » أى الذى مسحه بالميرون بعد خروجه من المعمودية ، فصار له ...
الآن علمت أن الرب خلص مسيحه ، أى كتب له صك الخلاص .

واستجاب له من سماء قدسه .

فهذا الذى يستجيب ، هو « الساكن فى الأعلى ، والناظر إلى المتواضعات » ينظر إلى عمل يديه ، و يقيم المسكين من التراب ، والبائس من المزبلة » . إنه يخلص باستمرار ، لأنه يريد أن الجميع يخلصون ... وقد أدرك المرتل هذه الحقيقة فقال « من أجل شقاء المساكين وتنهيد البائسين ، الآن أقوم - يقول الرب - أصنع الخلاص علانية » (مز ١١) .

هو فى سمائه ، ولكنه ليس بعيداً عنا ، بل « قريب هو الرب من منسحق القلب » ، يستجيب لهم من سماء قدسه ، هذه السماء التى يتطلعون إليها كلما يقولون « أبانا الذى فى السموات » . وكيف يستجيب لهم ؟ يقول المرتل :

جبروت خلاص تيسه

إنه الإله القوى الجبار، الغالب في الحروب ، يخلص مجبروته .
لذلك يقول له المصلى ، فى أحد مزامير الساعة الثالثة أيضاً « تقلد
سيفك على فخذك أيها الجبار... استله وانجح واملِك » (مز ٤٥) .

ولهذا نتغنى دائماً بقوة الله القادر على كل شيء . وفى الثلاثة
تقديسات نقول « قدوس الله ، قدوس القوى ... » . إننا نعتمد على قوة
الله هذه ، ونغلب بها . ونقول « غير المستطاع عند الناس ، مستطاع
عند الله » ...

ولكن جبروت الله ، هو للخلاص ... بالنسبة إلى أولاده ...
إنه ليس كأهل العالم الذين يستخدمون الجبروت للإخافة أو
للإهلاك ، بل مجبروته للخلاص . بهذا الجبروت شق البحر الأحمر ،
وخلص من العبودية شعباً مسكيناً . وهذا الجبروت سد أفواه الأسود
فى الجب ، وخلص دانيال . بهذا الجبروت انتهر البحر فهدأت
أمواجه وخلص سفينة تلاميذه من العاصفة ... و يعوزنى الوقت إن
أوردنا أمثلة جبروت الرب فى خلاصه ، حينما كان يخلص بذراع
حصينة .

. هذا الخلاص بالنسبة إلى أولاد الله ، قد يكون ضربة لمقاومهم .
كما ضرب الرب عماليق ، وجيش سنحاريب ، ليخلص ... أما داود
فيتحدث هنا عن جبروت الله بالنسبة إليه : إنه جبروت خلاص ...

وينسب الخلاص إلى يمين الرب ، إلى يده القوية .
لذلك فهو يعترف بإنقاذ الرب له في (مز ١١٧) ويقول « يمين
الرب صنعت قوة ، يمين الرب رفعتني . يمين الرب صنعت قوة ، فلن
أموت بعد بل أحيأ ، وأحدث بأعمال الرب » ... يد الله تدخل في
الموضوع ، بقوة ، فتصنع خلاصاً ، بجبروت ، هو جبروت خلاص
يمينه .

داود يرى قوة العدو الهائلة أمامه ، ويرى أيضاً يمين الرب ،
فيقول :

هؤلاء بمركبات وهؤلاء بحيل

« هؤلاء بمركبات ، وهؤلاء بخيل ، ونحن باسم الرب إلهنا
ننمو » .

ماذا تكون قوة المركبات والخيل ، أمام اسم الرب ؟! لا شيء .
يذكرنا هذا بقول داود لجليات الجبار « أنت تأتي إلى بسيف

ورمح وبترس . وأنا آتى إليك بإسم رب الجنود » (١ صم ١٧ :
٤٥) . نعم ، ما قيمة كل هذه الأسلحة ، السيف والرمح والترس ،
أمام إسم رب الجنود ، وجبروت خلاص يمينه ؟ !

لقد خاف جيحزى تلميذ أليشع النبي ، لما رأى « خيلاً
ومركبات وجيشاً ثقيلاً » يحيط بالمدينة . ولكن النبي العظيم طمأن
تلميذه بقوله « لا تخف ، لأن الذين معنا أكثر من الذين معهم . وصلى
أليشع ففتح الرب عينى الغلام » (فابصر وإذا الجبل مملوء خيلاً
ومركبات نار حول أليشع » (٢ مل ٦ : ١٤-١٧) . إنها القوات
المقدسة التى أرسلها الرب للحماية ، إذ أرسل له عوناً من قدسه .
داود رجل الخبرات ، لم يخف من خيل ومركبات العدو .

قد ترمز الخيل والمركبات ، إلى الشيطان وكل قواته .
لأن أعداءنا الشياطين أقوياء . والشيطان مثل أسد يزأر ، ويجول
ملتمساً من يبتلعه هو . إنه عنيف وقوى . وفى قصة أيوب الصديق ،
أنزل ناراً فحرقت الغنم والغلمان ، وريحاً شديدة صدمت زوايا البيت
فسقط (أى ١) . إنه ملاك ، فقد طهارته ، ولكنه لم يفقد قوته . وفى
الأيام الأخيرة سيعين « المقاوم والمرتفع على كل ما يدعى إلهاً »
« بعمل الشيطان ، بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة »
(٢ تس ٢ : ٩) .

ولكننا ننظر إلى كل قوة الشياطين ونقول « هولاء بمركبات
وهولاء بخيل ، ونحن باسم الرب إلهنا ننمو » .

البعض يخافون المركبات والخيول ، لأن إسم الرب ليس
معهم .

يقفون وحدهم في القتال ، ولا يأخذون إسم الرب معهم . ولكن
الكتاب يعلمنا أن يشوع كان يحارب ، وموسى كان يرفع يديه إلى الله
يصلى . وقد كسب يشوع الحرب بقوة هاتين اليدين المرفوعتين ، إذ بهما
دخل الله إلى ميدان الحرب « والحرب للرب » (١ صم ١٧ : ٤٧) .

لا يجوز أن ننظر إلى قوة العدو ، وننسى قوة الله .

لا تنظر فقط إلى جليات ، دون أن تذكر إسم رب الجنود . ولا
تنظر إلى البحر الأحمر ، وتنسى عصا موسى . ولا تفكر فقط في البرية
القفرة ، دون أن تتأمل السحابة التي تظلك نهاراً ، وعمود النار الذي
يرشدك ليلاً . لا يرعبك الجب المملوء بالأسود الجائعة ، إنما تأمل
ملاك الله وهو يسد أفواه الأسود . إن المزمور حينما يقول « عجيبة هي
أهوال البحر » ، يقول بعدها مباشرة « الساكن في الأعلى هو أقدر »
(مز ٩٢) .

إن أليشع النبي مازال يصلى صلاته المشهورة : افتح يارب عيني

لغلام ليرى أن الذى معنا - أى الملائكة - أكثر... وموسى النبى مازال واقفاً بعصاه ، يقول للخائفين « لا تخافوا . قفوا وانظروا خلاص الرب ... الرب يقاتل عنكم ، وأنتم تصمتون » (خر ١٤ : ١٤) .

الذين لا يملكون خيلاً ولا مركبات ، يملكون إسم الرب .
الرب الذى « إختار ضعفاء العالم ليخزى بهم الأقوياء »
(١ كو ١ : ٢٧) . إختار حصاة داود الملساء ، ليخزى بها سيف ورمح جلييات . إختار الصيادين الجهلاء ، ليخزى بهم كل حكمة وفلسفة الأمم ...

تذكر أن قوتك ليست فى الخيل والمركبات ، إنما فى الله نفسه .
لذلك قل باستمرار مع المرتل :
قوتى وتسبحتى هو الرب ، وقد صار لى خلاصاً .

ماذا كانت قوة القديس مارمرقس ، حينما دخل ليكرز فى أرض مصر ؟!

ما أكثر الخيل والمركبات التى وقفت ضده : كانت أمامه آلهة مصر الفرعونية برئاسة رع ، وآلهة اليونان التى دخلت أيام الإسكندر والبطالمة وكبيرهم الإله زيوس ، وآلهة الرومان التى دخلت أيام أكتافىوس قيصر ، وكبيرهم چوبتر... وكانت هناك أيضاً الديانة اليهودية المنتشرة فى حين من أحياء الإسكندرية .

ووقفت أمام مارمرقس أيضاً الفلاسفة الوثنية ، وقوة الفلاسفة وإقناعهم ، ومدرسة الإسكندرية الوثنية ، ومكتبة الإسكندرية التي كانت تضم مئات الألوف من الكتب ... وكانت هناك أيضاً السلطة الرومانية بكل قوتها وعنفها وحمايتها للوثنية ... حقاً هؤلاء بمركبات ، وهؤلاء بخيل ... ومع ذلك أدى مارمرقس رسالته ، ونشر الكلمة ، ووقف يقول « ونحن باسم الرب إلهنا ننمو » .

مثال آخر هو أرميا النبي ، الذي أرسله الله على الرغم من صغر سنه ، ليشهد بكلمة الحق « لملوك يهوذا ، ولرؤسائها ، ولكهنتها ، ولشعب الأرض » (أرميا : ١٨) فيحاربونه ويقف أمامهم . ولكن هؤلاء يارب بمركبات ، وهؤلاء بخيل ، وأنا لا أعرف أن أتكلم لأنني ولد (أرميا : ٦) . فقال له الرب : لا تقل إني ولد ... لا تخف من وجوههم ... هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة وعمود جديد وأسوار نحاس على كل الأرض » (أرميا : ١) . وهكذا شهد أرميا للرب وأمامه « نحن باسم الرب ننمو » ...

هكذا أنت أيضاً لا تخف من كل قوة العدو . فالرب يسندك .

إن الشياطين إن رأتك مرتعباً ، تهجم عليك ، وتعرف أنك قد

وقعت « فريسة لأسنانهم » . أما إن رأيتك قوى القلب ، فإنها تخاف
الإيمان الذى فىك وقوة الله التى معك .

وهذه القوة ، وهذا الإيمان ، تنتصر وتقول :

هم عشروا وسقطوا ونحن قننا واستقمنا

حقاً « يستجيب لك الرب فى يوم شدتك ، ينصرك إسم إله

يعقوب .

العجيب أن داود يقول هذا الكلام ، وهو واقف بعد يصلى
ويطلب . ولكنه الإيمان العميق بالإستجابة . يراها أمامه ، موقناً من
عمل الله . فلا يتكلم عما يحدث بأسلوب المستقبل ، إنما بأسلوب
الماضى ، كأنه قد حدث فعلاً !

وعبارة « قننا واستقمنا » معناها أننا كنا واقعين قبلاً ...

أى أن الوضع قد انعكس . نحن الذين كنا ساقطين ، قننا . وأما
الأعداء الذين انتصروا أولاً فقد عشروا وسقطوا ...

هذا هو أسلوب الحياة الذى يحياه أولاد الله . تقابلهم أولاً
الحروب والضيقات والعثرات ، و يذوقون الألم والضيق والشدة . وقد
يسقطون أحياناً ، لأن « الصديق يسقط سبع مرات و يقوم » . وكما
قال داود النبى « مراراً كثيرة حاربونى منذ صباى ... مراراً كثيرة

قاتلونى منذ شبابى ... على ظهري جلدنى الخطاة ، وأطالوا إثمهم » .
ولكنه يعلق على ذلك بقوله « ولكنهم لم يقدرُوا على » (مز ١٢٨) .

المهم إذن فى النهاية ، نهاية حرب المؤمن مع عدو الخير .
وفى ذلك يقول الكتاب « أنظروا إلى نهاية سيرتهم وتمثلوا
بإيمانهم » (عب ١٣ : ٧) .

والمشكلة أيضاً لا تنظر إلى أوائلها ، إنما إلى أواخرها .
لا تنظر إلى عار الجلجثة فتأس . إنما أنظر إلى النهاية ، إلى أمجاد
القيامة ، وأمجاد الصعود ، وأمجاد الجلوس عن يمين الآب ، وأمجاد
المجىء الثانى على السحاب بقوة ومجد عظيم .

وكلما تقابلك مشكلة ، قل « ربنا موجود » . وقل « مسيرها
تنتهى » .

إن المشكلة لا تستمر إلى الأبد . لها مدى زمنى تنتهى فيه ... آلام
أيوب الصديق ، على الرغم من عنفها ، جاء الوقت الذى انتهت فيه
« ورد الرب سبى أيوب » (أى ٤٢) . وقال « ونحن قنا واستقمنا » .

أما أعداؤك الذين عثروا وسقطوا ، فهم الشياطين ، الذين
يحسدون كل نعم الله إليك ، ويأتونك بمركبات وخيل ليسقطوك .
ولكن الكتاب يقول « أبصرت الشيطان ساقطاً مثل البرق من

السماء» (يو: ١٠: ١٨) .

ويمكن أن تأخذ عبارة « عثروا وسقطوا » عن المشاكل والشدائد .

كل المشاكل المحيطة بك ، قد سقطت وانتهت . الرب قد حلها . وأنت قمت واستقيمت . قمت من تحت هذا النير الثقيل ، الذى أحنى ظهرك ، ولكنك استقيمت أخيراً ، حينما استجبت لحبيبك القائل « تعالوا إلتى يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم » .

كل هذا رآه المرتل بالإيمان وهو يصلى . ثم التفت إلى الواقع وقال :

يا رب خلص ملكك ، واستجب لنا يوم ندعوك

نحن نرى خلاصك ، ونؤمن به ، ونشكرك عليه ... ولكن هذا لا يمنع أن نصلى من أجل إتمامه عملياً ، حتى ننتقل من الإيمان إلى العيان .

ولهذا نذكرك يا رب بما سبق أن قلناه « خلص ملكك . واستجب لنا يوم ندعوك » ، « و يكون كل من يدعوا باسم الرب يخلص » .

هذه بعض التأملات في مزمور « يستجيب لك الرب » .
وموضوعها طويل ، نكملة في تأملات مزامير أخرى بمشيئة
الرب .

❖ قدمنا لك أيضاً من صلوات المزامير ❖
تأملات في صلاة الغروب

يشمل تأملات في ثلاثة مزامير قصيرة ، من صلاة الغروب
هى :

- ❖ إليك رفعت عيني يا ساكن السماء (مز ١٢٣)
- ❖ إليك يارب صرخت في حزني فاستجبت لى (مز ١٢٠)
- ❖ رفعت عيني إلى الجبال (مز ١٢١)

هل قرأت كتاب

كلمة منفعة

في ثلاثة أجزاء ، يشمل ١٥٠ كلمة ، كل كلمة في
صفحتين فقط من هذا الحجم .

يصلح أن يوزع في الاجتماعات ، أو تقدمه هدية لأحد
أصحابك ، في أسلوب سهل يصلح لجميع المستويات .

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٣٣٧ / ١٩٨١

الثنى ٢٢ قرشاً

فصل الكتاب

هذا المزمور:

هو مزمور دعاء وبركة
وعزاء، يقدّمه الكتاب لكل
من هو في ضيقة وشدة، يقول
له فيه:

يستجيب لك الرب

في يوم شدتك

وهو أيضاً مزمور مملوء
بالإيمان، تتحول فيه الطلبة
إلى شكر، في ثقة بعمل الرب
واستجابته.

ليتك تقرأه وتحفظه
وتصليه، وتعزى به غيرك.

شنوده الثالث